

١٤٦

السنة الثالثة ١٠/١٩٧٤
تصدر كل خميس
ع.م.ج

المعرفة



ق

شفيق ذهني
طوسون أبطاه
محمد ركب رجب
محمد مسعود
سكرتير التحرير: السيرة/ عصمت محمد أحمد

الدكتور محمد فتواد إبراهيم
رئيساً
الدكتور بطرس بطرس غالي
الدكتور حسين فتووي
الدكتورة سعاد ماهر
الدكتور محمد جمال الدين الفندي
أعضاء



ساحران من العصر الحجري ، يضعان قناعين على شكل رأس حيوان . وإلى اليسار ، رسم تخطيطي يبين الحركات التي يؤديانها

الأقنعة الشعبية

بعض النقوش الأثرية التي ترجع إلى ما قبل التاريخ، صور ظلية لأشخاص يرقصون مرتدين جلود الحيوانات . وهذه النقوش تمثل السحرة ، وهم يقودون الرجال البدائيين . وعندما كانت القبيلة تتأهب للخروج للقتل، كان الساحر يحتجئ تحت فراء خاص بأحد الحيوانات، من نفس نوع الحيوان المزمع مطاردته، ثم يقوم بتمثيل مناظر اصطياده وموته، اعتقاداً منه بأن ذلك سوف يجبر الحيوان على الوقوع في أسره . كما كان من المعتقد أن يقوم الساحر بالتنكر في شكل الحيوان المقدس (الطوطم Totem)، الذي كانوا يتخذونه زعيماً للقبيلة .

كان هذا النوع من التنكر ، ضرباً من التشفع ، لأن الغرض منه كان إحداث الظروف « الملائمة » . هذا ولا تزال عمليات التنكر تتبع حتى اليوم لدى بعض القبائل ، بقصد تأدية بعض الشعائر . فالذين يضعون الأقنعة ، يعتقدون أنهم بذلك يخيفون الأرواح الشريرة ويبعدونها .

ولدى تلك القبائل عدة أشكال من الأقنعة : منها الأقنعة الفعلية ، وهي التي تغطي الوجه ، وبها ثقب في موضع العينين والشم . ومنها أقنعة توضع فوق الرأس على غرار الخوذة . وهناك أخيراً الأقنعة التي يكتفي بتعليقها داخل الأكواخ ، أو في مواجهة صورة الإله . وتصنع هذه الأقنعة من مواد مختلفة ، كالقش المفتول ، والخشب ، وجلود الحيوانات ، بل وأحياناً من الجلود الآدمية .

ولعل أبشع تلك الأقنعة منظرًا هو « القناع الجمجمة » ، الذي يستخدمه بعض المألوفين من سكان جزر الأوقيانوسية ، ومن عادة هؤلاء ألا يدفنوا الموتى من أقاربهم ، إلا بعد وفاتهم ببضعة شهور . وفي خلال ذلك ، يفصلون الجمجمة ، وينظفونها جيداً ، ثم يحشونها ، وقد يبالغون فيلصقون بها بعض الأعشاب على شكل مستعار .

أقنعة الحرب

وعلاوة على الأقنعة الشعائرية ، يوجد لدى أهالي تلك البلاد « أقنعة حرب » . وليس الغرض من هذه الأقنعة ، كما قد يتبادر إلى الذهن ، وقاية وجوههم من ضربات العدو ، ولكنهم يهدفون بها إلى إلقاء الرعب في قلوب الخصوم . وفي أفريقيا وإستراليا ، توجد كثير من القبائل التي لديها وسائل تنكرية بدائية للحرب ، ليس لها أي دور دفاعي ، وهي مقصورة على طلاء الجسم والوجه .

والمناطق التي لا يزال القناع مستخدماً فيها لأغراض شعائرية أو حربية هي : ميلانيزيا (وبصفة خاصة غانا الجديدة ، وجزر سالومون ، وهبريد الجديدة) ، وأفريقيا (وبصفة خاصة غانا ، والكونغو ، والسودان) ، وأمريكا الشمالية (وبصفة خاصة كولومبيا البريطانية) . وفي آسيا لا تنتشر هذه العادة سوى في إندونيسيا وجاوا . أما في أستراليا ، فإنهم يكفون بطلاء أجسامهم .

قناع « الجزء الأول »

ق

هل زرت مدينة البندقية ؟ دعنا نتخيل أننا قنا برحلة إليها ، وأن الزمن هو منتصف القرن ١٨ . ما أجملها مدينة ! ! وما أعجبها ! انظر إلى شوارعها الضيقة الملتوية (السكالي Calli) ، وساحاتها (الكامبي Campi) المزينة بالآبار . لتتجول في أحد شوارعها الرئيسية (الفوندامنتا Fondamenta) ، بأرصفها الضيقة ، التي تمتد على طول القنوات التي تخترق المدينة في جميع الاتجاهات . ها هو أحد الرجال قادم نحونا . إنه كهل محدوب الظهر . وعندما حاذانا ، رفع رأسه ليحيينا بتلك السباحة التي اشتهر بها أهل البندقية . أخذنا نتأمل الرجل ، وفجأة أجمت أسننتنا عن رد تحيته .. كان الرجل يضع قناعاً على وجهه . أسرعنا الخطى ، فشهدنا فتاة شابة رقيقة تخرج من أحد المنازل قاصدة السوق ، وهي تنشد إحدى الأغاني الفينيسية الجميلة ، وإذا بها هي الأخرى تضع قناعاً على وجهها .

لندخل الآن أحد الحوانيت . ها هي مفاجأة أخرى ... إن التاجر مقنع ! وعندما دخلت إحدى العميلات إلى الحانوت مسكة بطفل في يدها ، كانت تضع على وجهها قناعاً يمثل وجه الذئب الأسود . ابتعدنا عن الحانوت ، وإذا بمجموعة من الشباب يتبادلون حديثاً ضاحكاً ، وكلهم مقنعون . فلنحاول إذن أن نفهم سر تلك الظاهرة .

ها هو متسول يمد إلينا يده ، فلماذا يضع هو الآخر قناعاً على وجهه ؟ قابلنا بعد ذلك محفة يحملها رجال يسرون بها في خطوات متخاذلة . أزاح الراكب طرف الستارة الداخلية ، وأطل برأسه من فتحة الباب ، وكان بالطبع مقنعاً . . . وهنا مر بنا جنودول وبه سيدة تضع قناعاً على وجهها .

لقد زال الآن كل شك لدينا في حقيقة هذه الظاهرة . إن اليوم هو يوم الكرنفال (المهرجان التنكري) ، فاستوقفنا أحد المسارة ووجهنا إليه الحديث :

— عفوا . . . فأجاب الرجل وهو ينظر إلينا من خلال فتحات قناعه : — أمرك يا سيدي . . .

— هل نحن في موعد الكرنفال ؟ ولكن لا ، ليس الأمر أمر موعد . إن استخدام الأقنعة كان أمراً شائعاً في مدينة البندقية في القرن ١٨ ، وكانوا يستخدمونه جميعاً في كل أوقات السنة .

أما اليوم ، فلا يذكرنا القناع إلا بالحفلات التنكرية ، التي أخذت تقل وتباعد تدريجاً ، وإن كانت فيما مضى تحتل مركزاً هاماً في التقويم السنوي .

وفي أزمنة أخرى ، وكما هي الحال إلى اليوم لدى بعض الشعوب ، كانت للأقنعة أهمية ومعنى جد مختلفين . وفيما يلي ملخص لتاريخها ، ابتداء من تلك الأورديّة الخشنة التي كان السحرة يرتدونها في أزمنة ما قبل التاريخ ، إلى الملابس التنكرية المبرقشة لأرليكان Arlequin أو پولشينيلا Pulcinella .

قصة جنوب أفريقيا

وفي نهاية القرن ١٨ ، كان مجموع الأوروبيين الذين يقيمون في مدينة الكاب يبلغ ٥٠٠٠ نسمة ، كما كان هناك غير هؤلاء ١٠,٠٠٠ مهاجر في المناطق المحيطة بها . غير أن الأحداث على المسرح السياسي والتجاري كانت تتغير . فقد كانت كل من هولند ، وبريطانيا ، وفرنسا متورطة في الحرب ، وفي عام ١٧٨٩ ، أفلسست شركة الهند الشرقية . وكان من نتائج هذه الأحداث المتغيرة ، قيام أول احتلال بريطاني للكاب في عام ١٧٩٥ ، تلاه احتلال آخر ذو طابع دائم في عام ١٨٠٦ . وعندئذ أخذت الأحداث في الكاب تتوالى بسرعة كبيرة . كان هؤلاء النزلاء الهولنديون والمزارعون الذين على الحدود ، أو البوير Boers ، لايزالون يشكلون الجزء الأساسي من سكان المستعمرة . ولم يكن هؤلاء المستعمرون الأشداء المحافظون ، يوافقون على نظام الحكم الجديد ، ووصلت الأمور إلى ذروة تأزمها في عام ١٨٣٤ ، عندما فرضت الحكومة

البريطانية قانون تحرير العبيد . لم يكن السكان الأصليون للمستعمرة ، وهم قبائل الهوتنتوت Hottentots والبوشمن Bushmen ، قد تعرضوا للاسترقاق ، ولكن شركة الهند الشرقية الهولندية ، كانت قد استحضرت للبلاد المئات من العبيد . وقد كان إعلان تحرير العبيد ، وكذلك بعض القوانين الرسمية الأخرى التي أصدرها البريطانيون ، ومنها إحلال البريطانيين محل الهولنديين في المدارس والمحاكم ، سببا في هجرة جماعية إلى داخل البلاد . وقد عرف سكان المستعمرة الذين اشتركوا في تلك الهجرة العظمى باسم «الرواد Voortrekkers» . وقد شق هؤلاء الرجال والنساء والأطفال ، ومعهم ما أمكن حمله من المتاع في مركباتهم التي تجرها الثيران ، شقوا طريقهم في مجاهل البلاد متعرضين لهجمات الوحوش المفترسة ، ولرجال القبائل الوطنية المعادية لهم ، لكي يضعوا أساس أمة جديدة ، هي أمة جنوب أفريقيا . وقد أقيمت جمهوريات البوير في كل من دول أورانج الحرة ، والناتال Natal ، والترانسفال Transvaal .



▲ جان فان ريببيك يقابل بعض الوطنيين ، عندما وطئت قدماه أفريقيا الجنوبية

أمة متحدة

كان على الدولة الجديدة أن تتعرض للكثير من الآلام القاسية ، فقد كانت القبائل الوطنية تتسم بالشراسة ، وتشكل تهديدا مستمرا لها . كما نشأت منازعات عديدة بينها وبين الحكومة البريطانية في منطقة الكاب ، وبصفة خاصة عندما ضمت إليها المناطق الجديدة . ثم كان تطوير الموارد الطبيعية الغزيرة ، سببا في اجتذاب أنظار العالم نحو جنوب أفريقيا ، ولا سيما بعد اكتشاف الماس والذهب في المناطق التي استقر بها الرواد ، وأعقب ذلك أوقات عصيبة أدت إلى نشوب حرب البوير ، التي كانت صراعا عنيفا استمر من عام ١٨٩٩ ، إلى أن تمت هزيمة البوير في عام ١٩٠٢ . وعندئذ اتضح أن الاتحاد أصبح ضرورة ملحة ، كما أصبح الشعار القائل بأن «الاتحاد قوة» ، هو الشعار الوطني للبلاد ، ثم تم إنشاء اتحاد جنوب أفريقيا في عام ١٩١٠ ، ويضم الناتال ، ومستعمرة الكاب ، والترانسفال ، ودولة أورانج الحرة . وفي عام ١٩٦١ ، أصبح هذا الاتحاد «جمهورية جنوب أفريقيا» .

هذا ، وقد انتهجت حكومة جنوب أفريقيا في السنوات الأخيرة ، سياسة التفرقة العنصرية ، والتمييز المحجف بأهل البلاد الوطنيين ، الأمر الذي أفضى إلى قلاقل ، وإلى مقاطعة الدول الأفريقية والدول العربية ، لحكومة جنوب أفريقيا .



علم جنوب أفريقيا

وصف السير فرانسيس دريك ، رأس الرجاء الصالح (الكاب) خلال رحلاته البحرية ، بأنه «شيء رائع .. وهو أجمل رأس شاهدهته على طول محيط الكرة الأرضية» . وكان الملك جون ، ملك البرتغال ، هو الذي أطلق عليه هذا الاسم الرومانسي ، عندما تبين له أن المستكشفين البرتغاليين ، قد عثروا على طريق جديد إلى ثروات الشرق . ولاشك في أن البحارة كانوا بعد ذلك يجدون خلاصا محببا من الرتابة والمشاق ، التي كانت تتسم بها رحلاتهم ، وذلك عندما ينزلون لبعض الوقت على تلك الشواطئ المنعزلة الجميلة ، عند أقصى الطرف الجنوبي من أفريقيا . ولم تبذل أية محاولات لتطوير تلك المحطة المتوسطة ، على الطريق

الذي يؤدي إلى جزر الهند الشرقية حتى كان عام ١٦٥٢ ، عندما قامت شركة الهند الشرقية ، بإنشاء مستوطنة لها عند خليج تابل . وقد قام بإدارة تلك المستعمرة ، أحد موظفي شركة الهند الشرقية ، المدعو جان فان ريببيك ، الذي كان معروفا بنشاطه الكبير ، وشغفه بالعمل .

لم يكن لدى شركة الهند الشرقية من مطعم ، أكثر من إنشاء محطة لتجوين سفنها . فهي لم تكن تهتم إطلاقا بتلك المنطقة الشاسعة البكر في جنوب القارة الأفريقية ، والتي تقع مستعمراتها الصغيرة في الطرف الأقصى منها .

ومنذ الأيام الأولى في تاريخها ، اكتسبت الكاب Cape لقبها التقليدي « فندق البحار » ، أو المحطة التي تتوقف فيها جميع السفن التجارية . وكانت أول جماعة تستقر على تلك اليابسة ، بالرغم من أنها لم تكن سوى مستعمرة تجارية ، تضم رجالا جشعين يعيشون حياتهم الخاصة . وقد أصبحت هذه المجموعة فيما بعد ، الأساس الذي قامت عليه الحضارة الأوروبية في أفريقيا الجنوبية ، وبدأ ذلك عندما حصل موظفو الشركة على التصريح لهم بإقامة مزارع خاصة ، يختارونها في ذلك الوطن الجديد . ومع مرور الوقت ، انضم إليهم أناس آخرون ، وبصفة خاصة مجموعة كبيرة من الهيجونوت (البروتستانت الفرنسيين) ، الذين فروا من الاضطهاد الديني بعد عام ١٦٨٥ .

وبدأت تتكون بالتدريج مستعمرة تمتد حدودها باطراد ، مع تعمق المزارعين من رعاة الأغنام في داخلية البلاد ، بمركباتهم التي تجرها الثيران ، بحثا عن المراعي البكر لقطعانهم .

اُوروپیا فی

خريطة أوروبا في القرن ١٥



جديدة ضد الأتراك . وفي الوقت الذي توفي فيه نيقولا الخامس ، كان قد مضى عامان على احتلال الأتراك لمدينة القسطنطينية ، وأخذ هؤلاء يزحفون تدريجاً على أوروبا الغربية . وقد حاولت المجر ، على مدى زمن طويل في عهد ملكها العظيم ماتياس كورفينوس Matthias Corvinus (١٤٥٨ - ١٤٩٠) ، أن توقف تقدم تلك الدولة الآسيوية ، ولكن الحرب الأهلية التي نشبت في المجر في عام ١٤٩٠ ، أدت إلى استمرار ذلك التقدم الذي بلغ ذروته في عام ١٥٢٦ بعد موقعة موهاك Mohacs ، وعندما تمكنت القوات التركية من اكتساح أراضي المجر .

الحركة اليروتستانتية

مما لا شك فيه ، أن البابوية خسرت قدراً كبيراً من مهابتها ، عندما فشلت في تشكيل حملة صليبية ناجحة ضد الأتراك . وفي نفس الوقت ، كان مقدراً لها أن تفقد الكثير بسبب نشاط معارضضيها . كان أهم هؤلاء المعارضين جون هوس John Hus ، الذي كانت مبادئه المعارضة ، تقوم إلى حد كبير على مبادئ ويكليف Wycliffe ، وكان له أنصار عديدين

مق انتهت العصور الوسطى وبدأ التاريخ الحديث ؟ يقول بعضهم إن ذلك كان في عام ١٤٥٣ ، عندما سقطت القسطنطينية في أيدي الأتراك ، وهرب العلماء البيزنطيون إلى أوروبا الغربية ، حاملين معهم المعارف الجديدة . ويقول آخرون إن ذلك كان في عام ١٤٨٥ ، عندما حلت أسرة تيودور محل أسرة يورك على عرش إنجلترا . ويقول فريق ثالث إن ذلك كان في عام ١٤٩٢ ، عندما قام كولومبوس بتوسيع خريطة العالم باكتشافه أمريكا . وأخيرا ، فهناك من يقول بأن التاريخ الحديث ، بدأ مع عصر الحروب الإيطالية ، التي أشعلها شارل الثامن في عام ١٤٩٤ .

ولا ريب أنك ستلاحظ أن كل هذه التواريخ تقع في القرن الخامس عشر ، وهو القرن الذى يعد جد حاسم في تطور أوروبا الحديثة .

البايوية وحركة الإصلاح

غير أن القرن الخامس عشر ، وفي مجال واحد على الأقل ، أدار ظهوره نحو إحدى الحركات التقدمية ، وذلك أن الحركة التي عرفت باسم حركة الإصلاح ، حاولت في ذلك الوقت أن تحد من سلطة البابا ، مع تأكيد سلطة المجالس العمومية الكنسية . ولكن تلك الحركة باءت بالفشل ، وفي نهاية القرن ١٥ ، كاد البابا يصبح الحاكم المطلق للكنيسة الكاثوليكية .

وفي بداية القرن ، كان الانشقاق الكبير يسير في طريقه ، وكان الباباوات المتنافسون يتحدون كل منهما الآخر ، ويرميهم بالإهانات . وبعد البابا أربان السادس ، وهو الذي كانت تعترف به كنيسة إنجلترا ، جاء بونيفاس التاسع ، ثم اينوسنت السابع ، وبعدهما في عام ١٤٠٦ ، جريجوري الثاني عشر . أما البابا الفرنسي كليمنت السابع ، فقد خلفه بنيديكت الثالث عشر . فكيف إذن كان يمكن التغلب على ذلك الموقف الصعب ؟ كان الشعور المتزايد بين الكرادلة ، يميل إلى اعتبار أن قرارا في هذا الشأن ، لا يمكن أن يتخذه سوى مجلس عام من الكنيسة بأكملها . وفي عام ١٤٠٩ ، قام مجلس پيزا بانتخاب إسكندر الخامس « بابا » شرعيا . ولسوء الحظ ، فإن المجلس اتخذ هذا الإجراء بدون إقناع الباباوين الآخرين بالتنحي ، وبذلك أصبح هناك ثلاثة بابوات . وفي العسام التالي ، استبدل بإسكندر الخامس ، البابا جون الثالث والعشرون ، ذى الكفاءة الفائقة . وقد استمر هذا الانشقاق المؤسف في صفوف المسيحية مدة سبع سنوات . وعندما عقد مجلس كونستانس في عام ١٤١٤ ، بذلت جهود شاقة لوضع حد لهذه المأساة ، انتهت بعزل جون ، وحث جريجوري على التنحي . وأخيرا وفي عام ١٤١٧ ، أعلن أن بنيديكت الثالث عشر ملحد ، وأيدت جميع الأطراف المعنية انتخاب مارتن الخامس (نوفمبر ١٤١٧) .

لقد كانت إقامة مجلس عام للكنيسة ، من سلطته انتخاب وعزل البابوات ، تشكل تهديدا شديدا لمركز البابا . ففي العام التالي لانتخاب يوجينوس الرابع ، الذى خلف مارتن ، وجد نفسه مضطرا لمواجهة مجلس بال Basle . كانت المنازعات العنيفة تسود هذا المجلس ، الذى ظل قائما حتى عام ١٤٤٨ ، كما تم انتخاب عدد آخر من المعادين للبابا . ومهما يكن من أمر ، فإن نيقولا الخامس ، التقى الورع ، والذى حكم من عام ١٤٤٧ إلى عام ١٤٥٥ ، تمكن من إعادة الوحدة إلى صفوف الكنيسة .

الأستراك

كانت تلك المنازعات البابوية، سببا في القضاء على آخر فرصة أمام البابوية للقيام بحملة



سيدة من نبيلات القرن ١٥

القرن الخامس عشر



أحد نبلاء القرن ١٥

في بوهيميا . وقد استدعى هوس أمام مجلس كونستانس ، وكان ذهابه إليه مشمولا بحماية سيجموند Sigismund « ملك الرومان » (ملك المانيا) . ولكن المجلس أمر بإحراق هوس متهما بإياه بالإلحاد . وكانت نتيجة ذلك اندلاع الحرب الأهلية في بوهيميا ، التي أحرز فيها أنصار هوس نجاحا هائلا ، حال دون سيجموند وقهر بوهيميا . وفي عام ١٤٣٦ عقدت هدنة بين الأطراف المتنازعة ، أسفرت عن استمرار أنصار هوس في مزاوله طقوسهم غير الكاثوليكية .

إنجلترا وفرنسا

لم تكن الحروب ضد أنصار هوس ، هي الحروب الوحيدة التي نشبت في القرن ١٥ ، فقد نشبت فيه حروب أخرى ، كانت أعظمها حرب المائة عام ، والتي انتهت بانقلاب دراي في الأوضاع . ففي عهد هنري الخامس ، تمكنت إنجلترا من دحر فرنسا في معركة أجينكورت Agincourt (١٤١٥) ، وفرض سيطرتها على معظم الأراضي الفرنسية ، ونودي بهنري السادس في باريس ملكا على إنجلترا وفرنسا . وعندما نجحت عذراء أورليانز المذهلة جان دارك Joan of Arc ، في إثارة النخوة والخماس في نفوس الفرنسيين ، تمكن هؤلاء من استعادة كل ما فقدوه ، بل وأكثر منه . وفي عام ١٤٥٣ كانت كاليه هي كل ما بقي لإنجلترا من ممتلكات في فرنسا .

وفي إنجلترا ، وبعد حرب المائة عام ، نشبت حروب الوردتين ، التي تنازع فيها آل لانكستر وآل يورك على العرش . وقد أسفرت تلك الحروب عن تولي أسرة جديدة ملك إنجلترا ، وهي أسرة تيودور ، واعتلى أول أفرادها العرش في عام ١٤٨٥ ، ممثلا في شخص هنري السابع .

أما فرنسا ، ففي عهد لويس الحادي عشر ، سرعان ما ركزت إدارتها ، وأخذت تبني لنفسها جيشا قويا . وقد استغل شارل الثامن هذه القوة بالهجوم على إيطاليا في عام ١٤٩٤ . وبهذا العمل ، أثار شارل نزاعا طويلا مع أسبانيا حول السيطرة على الولايات الإيطالية ، مثل ولايتي ميلانو وناپولي . ويرى كثير من المؤرخين ، أن الحرب التي نشبت بين هاتين الدولتين العظمتين ، هي بداية التاريخ الحديث .

إيطاليا

كانت إيطاليا ، عندما غزاها شارل ، تتكون من عدد من الدويلات المستقلة . وكان بعض تلك الدويلات يخضع لحكم أسرة واحدة ذات ثراء فاحش ، مثل أسرة فيسكونتي أو أسرة سفورزا في ميلانو ، وأسرة دي مديشي في فلورنسا . وفي عهد كوزيمو دي مديشي العظيم ، ولورنزو الأفخم ، انتشرت الثقافة الفلورنسية في جميع أرجاء أوروبا ، وكان من برزوا ، بصفة خاصة ، المصورون والنحاتون أمثال ليوناردو دافنشي ، ورافائيل ، ومايكل أنجلو .

أسبانيا

كانت أسبانيا تختلف عن إيطاليا ، في أن القرن لم يكبد ينتهي ، حتى كانت قد توحدت ، وذلك لأن الزواج العظيم الذي تم بين فرديناند الأراجوني وإيزابيلا الكاستيلية ، وحد بين المملكتين العظيمتين . وسرعان ما توحدت الممالك الأخرى مثل نافار وجرانادا . ويرجع معظم الفضل إلى إيزابيلا ، في قيام كولومبوس برحلته الخالدة في عام ١٤٩٢ ، وإكسابه أسبانيا إمبراطوريتها في العالم الجديد .

ألمانيا

كانت ألمانيا في القرن الخامس عشر ، تضم أكثر من ٣٠٠ حكومة مستقلة ، وتدين بولاء ظاهري لملك الرومان . ولم يكن هناك اتحاد يذكر إلا في الجزء الشمالي من ألمانيا ، حيث كانت عصبة الهانزا Hanseatic League تكون اتحادا تجاريا مزدهرا . ومهما يكن من أمر ، فإن كثيرا من تلك الحكومات أخذت تحسن نظمها الإدارية . وكان أبرز أحداث ذلك العصر ، انتخاب ألبرت الثاني ، في عام ١٤٣٨ ، وهو من أسرة هابسبرج ، ملكا على جميع الرومان . وابتداء من ذلك الوقت ، وحتى نهاية القرن ، أخذ آل هابسبرج يوسعون نفوذهم بالتدريج . وفي عام ١٤٧٧ ، استولوا على الأراضي الواطنة البرجندية . كما أن مكسيميليان الأول (١٤٨٦ - ١٥١٩) تمكن من بسط نفوذهم في ألمانيا بدرجة كبيرة . وجاء بعده شارل الخامس ، الذي تمكنت ألمانيا في عهده من السيطرة على أوروبا .

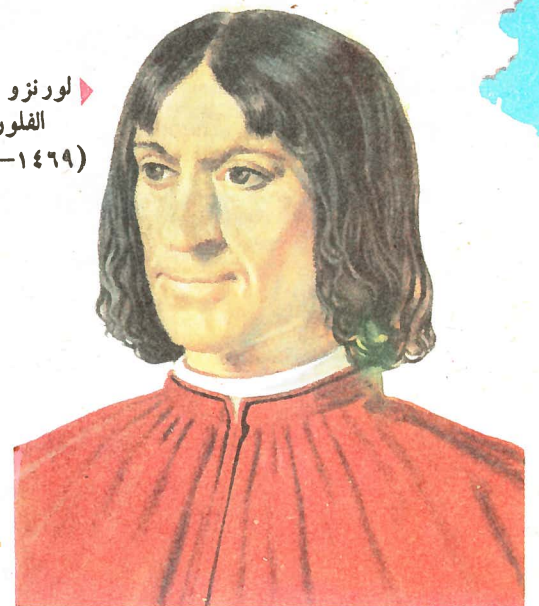


هنري السابع ملك إنجلترا التيودوري (١٤٨٥-١٥٠٩)

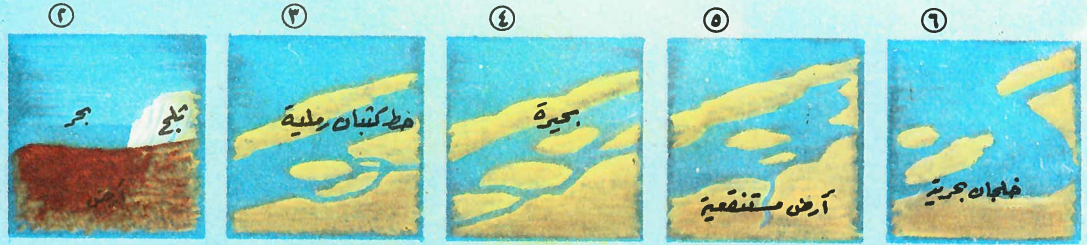


لويس الحادي عشر ملك فرنسا (١٤٦١-١٤٨٣)

لورنزو الأفخم الفلورنسي (١٤٦٩-١٤٩٢)



الأراضي الوطنية



البحر يطغى مرة أخرى على خطوط الكثبان الرملية، مكونا خلجانا بحرية

الرواسب النهرية تملأ البحيرات المقتطعة، مكونة أرضا مستنقعية.

خلف خط الكثبان الرملية، تقع بحيرات مقلعة من الماء العذب.

ثم تكون لسان من الرمال موازيا للساحل.

ذاب الجليد وغطى البحر على السواحل.

(1) كان معظم هولند تحت الجليد منذ ٢٠٠,٠٠٠ سنة خلال الزمن الرابع



منذ قرون ، والأراضي الوطنية (هولند) في حالة حرب ، حرب مع البحر . وربما لن تستطيع هولند قط أن تنهى هذا الصراع ، فقوى البحر لا تهدأ قط . وقد كانت الفيضانات القاسية ، شيئا عاديا مألوفًا حتى القرن السادس عشر . ورغم أن الفيضانات الآن أقل حدوثًا بسبب التقدم في وسائل بناء السدود والخزانات ، إلا أنها لا تزال تحدث أحيانا . فلقد شهد عام ١٩٥٣ ، أسوأ فيضان في هذا القرن ، إذ سبب خسائر قيمتها ١٠٠ مليون جنيه استرليني . وتحت تأثير هذا الخطر الداهم ، بدأ الهولنديون مشروعًا جديدًا ، اسمه «مشروع الدلتا Delta Plan» ، مقدر له أن ينتهى عام ١٩٨٠ ، فالقنوات التي تفصل جزر زيلاند، تقام عليها سدود عند مداخل البحر ، وتتحول مياهها إلى مياه عذبة ، ومن ثم تحمي السدود المنطقة كلها .

ولكن البحر كان من بعض الأوجه حليفًا للهولنديين ؛ فوقع هولند على بحر الشمال ، ساعدهم على تنمية الصيد والتجارة . وقد أنشأوا أسطولًا قويًا يحميها ، لعب دورًا كبيرًا في المحافظة على استقلال البلاد . وأكثر من هذا ، فقد أثبت البحر أنه عظيم القيمة في صراعها الأكبر - صراعها من أجل الاستقلال عن أسبانيا . ففي عام ١٥٧٢ ، تمكن «شعاذو البحر» في إقليم هولند ، من السيطرة على بريل Brille ، وفلشنج Flushing ، واستخلصوها من يد الأسبان . وقد أفشى هذا إلى قيام ثورة عامة ، أدت إلى انفصال المقاطعات السبع المتحدة (الأراضي الوطنية) عن كل من أسبانيا ، وعما يعرف الآن باسم بلجيكا (التي ظلت أسبانية) . وقد استخدم الثوار البحر عام ١٥٧٤ مرة أخرى ، بتحطيم السدود . وإغراق البلاد ضد الأسبان ، خلال «حصار ليدين» البطولي .



موقع هولند في أوروبا



تكوين الأراضي الساحلية

إن خطر الفيضان على الساحل الهولندي ، يجمي نتيجة للوسيلة التي تكونت بها هذه السواحل . وفي الأشكال من ١ إلى ٦ أعلاه ، نجد كيف تكونت الكثبان الرملية من الرواسب النهرية . وعندما تصرف مياه الأرض وراء الكثبان الرملية ، وتبدأ في الجفاف ، «تنكش» أرض المستنقعات ، ثم تهبط أسفل مستوى البحر . وإذا كانت الكثبان الرملية لا تستطيع أن تقاوم البحر تمامًا ، كان لابد من تقويتها بإقامة السدود .

حقائق وأرقام

المساحة ٣٣٦٨٦ كيلو مترا مربعا .
السكان ١٣,١١٩,٤٣٠ نسمة
العاصمة أمستردام (٨٢٠,٤٠٦ نسمة)
قاعدة الحكومة : لاهاي (٦٠٥,٢١٤ نسمة)
السكك الحديدية : ٣٢٣٠ كيلومترا
الأنهار الصالحة للملاحة : ٦٧٧٠ كيلومترا
وحدة النقد : (جلدور أو فلورنج)
الديانة : حرية العقيدة مطلقة



تبين هذه الأشكال كيفية استخدام الأرض ، نسبة ما يخصص للرعى (١) وأرض المحاصيل (٢) ، والبساتين (٣) ، والأرض المشجرة (٤) ، وأرض بور (٥) ، ومباني وطرق ومياه (٦) .

إقليم إيسيل مير المستصلح

وهناك إقليم آخر في سبيله إلى التكوين ، هو إقليم إيسيل مير المستصلح IJssel Meer . وكان هذا الإقليم خليجا لبحر زويدير Zuider Zee . وقد أغلق هذا الخليج عام ١٩٣٢ ، بعد عمل استمر ١٢ عاما في بناء سد طوله ٢٥ كيلومترا ، بعرض ١٣٣ مترا ، وارتفاع ٨ أمتار ، وقد صنع هذا السد بحيرة تعرف الآن ببحيرة إيسيل . وقد فقدت هذه البحيرة ملوحها خلال خمس سنوات ، وأصبحت مصدرا ثمينا للماء العذب . وستصل مساحة الأرض المستصلحة عام ١٩٨٠ ، إلى نحو ٢٢٠٠ كيلومتر مربع . وقد انتهى العمل في پولدرويرنجر Wieringer عام ١٩٤٠ ، ولكن الألمان فجروه أثناء الحرب العالمية الثانية ، ثم أعيد تصريف مياهه ، وأعيد بناء حقوله وقراه بعد ذلك . وتم عام ١٩٦١ استصلاح پولدر نوردر أوست Noord-Oost (الشمال الشرقي) ، وتضمن تشييد ١١ قرية جديدة ، تم بناؤها عام ١٩٦١ ، بينما تزرع مساحات كبيرة من پولدر أوست فليثولاند .

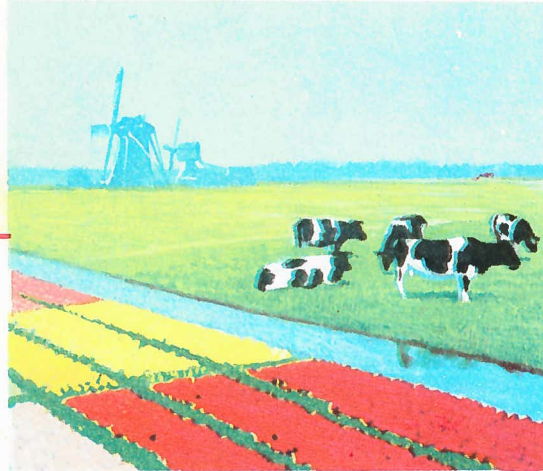
الواردات

مواد خام ، زيت
خام ، حبوب ،
حديد وصلب ،
آلات ، مشروبات

التصدير

خضروات ، جبن ،
لحوم ، بطرول ،
سلع كهربائية ،
كيماويات

استيراد



منظر مثالي للريف الهولندي ، بين حقول التيلوب ، ومصرف للمياه ومروحة هواء ، وسلالات متقاة ، وأرضا مستصلحة (پولدر)

الصناعة

هولند دولة صناعية ، رغم أنها لا تمتلك إلا خامات قليلة . ويرجع ذلك إلى ما يتمتع به أهلها من مهارة ، وقلة الإضرابات ، وانخفاض الأسعار ؛ وأكثر من ذلك بسبب موقعها الجغرافي الممتاز ، الذي يسمح باستيراد السلع بالبحر والنهر بتكاليف رخيصة . وتقوم أهم منطقة صناعية حول روتردام Rotterdam . وتشمل السلع المصنوعة : السفن ، والصلب ، والبترو ، والكيماويات ، والورق ، والزيت النياق . وتتعامل روتردام بكميات أضخم من السلع ، أكثر من أي ميناء أوروبي آخر ، بما في ذلك لندن . ولا تزال روتردام تنشئ تسميات جديدة في موانئها . أما المنطقة الصناعية الهامة الثانية ، فتشمل لمبرج الجنوبية ، حيث توجد مناجم الفحم الوحيدة الموجودة في هولند . ورغم صعوبة استخراج الفحم ، وازدياد تكاليف استخراجه ، إلا أن هولند تستخرج كل عام ١٢ مليون طن في السنة . وكل مناجم الفحم واسعة ، ويعتبر موريس Mauris أكبر منجم فحم في أوروبا . ومن الصناعات الثقيلة أيضا ، مجمع الحديد والصلب في إيمويدين Ijmuiden ، وصناعة صهر الصفيح



الآفات والزراعة

يمكن تقسيم هولند إلى ثلاثة أقسام : الشمال الشرقي ، والجنوب ، والساحل . ويتكون الإقليم الشمالي الشرقي من تربة رملية ، غير خصبة ، لا ينمو فيها إلا العشب الخشن ، وغرس الأشجار المخروطية في بعض أجزائها ، غير أن معظم الإقليم مخصص للزراعة المختلطة ، أي زراعة المحاصيل وتربية الماشية ؛ وهذه المحاصيل خاصة بالعلف لتغذية الماشية التي تدر اللبن .

ويحتوي الإقليم الجنوبي على ثلاثة أقسام ، وادي الراين الأسفل ، ووادي الماس Maas ، وكلاهما يحتوي على مراعي وبساتين وفاكهة . أما على امتداد الحدود البلجيكية ، فهي أراضي حشائش وأدغال فقيرة ، تنمو على تربة رملية ملوحة . وترتفع الأرض إلى ٣٣٠ مترا في جنوب لمبرج Limburg ، وهي إقليم زراعي وصناعي مزدهر .

والإقليم الساحلي من أشد أقاليم العالم اكتظاظا بالسكان ، رغم أنه يقع دون سطح البحر . وينقسم هذا الإقليم إلى عدد من البولدرات Polders - وهي وحدات الأرض المستصلحة - كل منها محاط بطوق من السدود وقناة . ولابد من أن يضخ الماء من ٢,٥ مليون فدان من أرض البولدرات يوميا ؛ وكانت المراوح الهوائية تقوم بهذا العمل من قبل ، أما الآن ، فتقوم بها آلات الديزل أو الآلات الكهربائية . وتقدم الحشائش الغنية ، مراعى مثالية لآلاف رؤوس البقر ، التي تستغل ألبانها في منتجاتها ، وخصوصا الجبن الهولندي المشهور ، وهذه تمثل صادرات هامة . وتزرع آلاف الأفدنة بالخضروات والزهور في الإقليم بين هارلم Haarlem ولاهاي The Hague ، وأهمها الطماطم وزهور التيلوب .

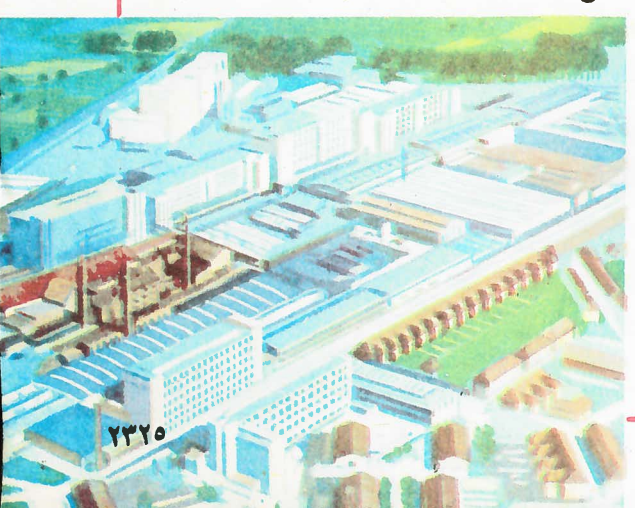
وتحاذي الساحل الشمالي الجزر الفريزية ، وقد تكونت عندما طغى البحر على الكتيان الرملية ، ويصلها باليابس مسطحات من الطين ، تتعرض للجزر المنخفض .

في آرنهم Arnhem ، الذي يصهر خمس الصفيح في العالم كله . وقد نمت الصناعات الخفيفة ، ولا سيما تلك التي تحتاج لمهارة ، في كثير من المدن . فتوجد صناعات الآلات الهندسية الدقيقة ، وصقل الماس في أمستردام ؛ ويصنع الخزف في دلفت Delft ، والأدوية في آرنهم ، والراديو في إيندهوفن Eindhoven .

ويعتمد الهولنديون الآن على التجارة ، أكثر من أي دولة أخرى في العالم . ومنذ أن فقدت جزر الهند الشرقية (إندونيسيا) عام ١٩٤٥ ، هبطت نسبة التجارة العالمية التي يعملون فيها . إلا أن إنشاء اتحاد البنلوكس والسوق الأوروبية المشتركة ، أديا إلى ازدياد حركة التعامل مع الاقطار الأوروبية .

يضاف إلى ذلك أن موقع هولند على دلتا الراين ، أشد أنهار أوروبا ازدحاما وحركة في أوروبا ، من شأنه أن يعمل على اجتلاب فوائد تجارة المرور للبلاد ، لاسيما مع ألمانيا الغربية .

مصانع فيليبس الضخمة للراديو والتليفزيون في إيندهوفن



تركيا

تركيا اليوم، هي ما تبقى من الإمبراطورية العثمانية، التي كانت تمتد في القرن السابع عشر، وتغطي شبه جزيرة البلقان كلها، وتشتمل على معظم يوغوسلافيا، والحجر، ورومانيا، وبلغاريا، وألبانيا، واليونان الحالية. ويقع أقل من ٢٥,٦٠٠ كيلومتر مربع في أوروبا، وذلك من مجموع مساحتها البالغة ٧٨٠,٥٧٦ كيلومترا مربعا. ومعظم سكانها البالغ عددهم ٣٥,٦٦٦,٥٤٩ نسمة (تعداد ١٩٧٠)، يعيشون في شمال البلاد وغربها، بينما الوسط والجنوب والشرق قليل السكان.

السواحل

يمكن تقسيم تركيا إلى إقليمين رئيسيين: السواحل، والداخل. والسواحل الغربية هي أكثر السواحل ألفة لنا. فقد استقر فيها الإغريق القدماء، ولم تفقد صفتها اليونانية، إلا بعد تبادل السكان بين اليونان وتركيا، الذي حدث عقب الحرب التركية اليونانية عام ١٩٢٢. ويتكون هذا الساحل من البقايا الممزقة لهضبة الأناضول، والتي تقطعها الوديان الخصبة. وهو سهل الاتصال بالداخل، وظروفها الزراعية جيدة. ومحاصيل الإقليم الزراعية، هي محاصيل البحر المتوسط التقليدية، وتشمل القمح، والزيتون، والكروم. وإلى الخلف من الساحل الشبلي، تمتد سلسلة جبال پونطس Pontus، وتغطي الغابات معظمها، ومن ثم فاختراقها ليس سهلا. كما أن وديان الأنهار تجري موازية للساحل، ولذا لا تصنع طرقا ميسرة نحو داخل تركيا. أما السهل



سواحل البوسفور الخصبة، تربط بين البحر الأسود وبحر مرمرة

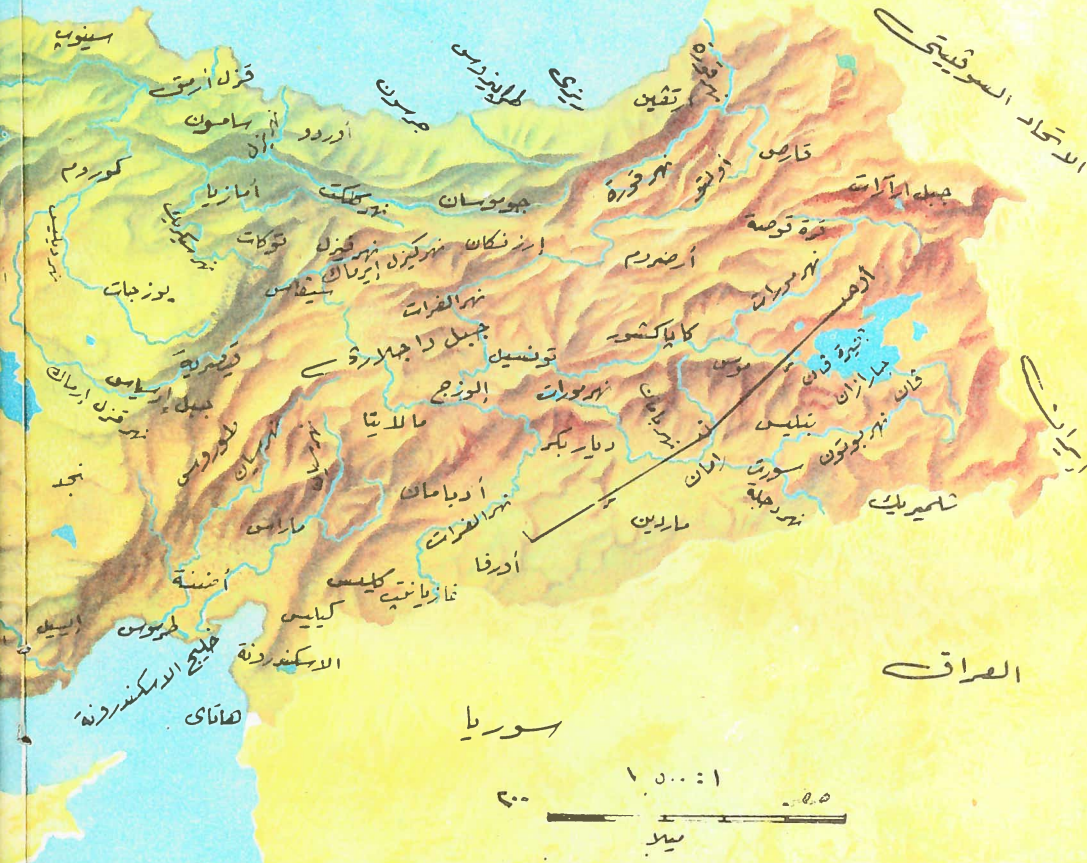
بعض الحقائق عن تركيا

المساحة : ٧٨٠,٥٧٦ كيلو مترا مربعا
أعلى جبل : أرارات ٥٦٣٥ مترا.
أطول نهر : قزل آرمالك ١١٤٤ كيلو مترا
السكان : ٣٥,٦٦٦,٥٤٩ نسمة
العاصمة : أنقرة، وسكانها ١,٢٠٨,٠٧٩ نسمة
أكبر المدن : إسطنبول، وسكانها ٢,٢٤٧,٦٣٠ نسمة

لا تزال الحمير والجمال تستخدم بكثرة في تركيا كحيوانات للنقل، رغم أن الأتراك قد بدأوا في تربية الماشية للحومها وألبانها، أكثر من استخدامها للنقل. وتخصص تركيا في الموهير من شعر ماعز أنقرة، والعسل من صنف ممتاز. والملمن التركي معروف ومشهور.

الواردات
آلات،
حديد، وصلب،
بترو

الصادرات
التبغ، والقواكه،
والقطن، والمعادن



الموارد الاقتصادية

يعتمد ثلاثة أرباع سكان تركيا على ما يستخرجونه من خيرات الأرض. أما محاصيل الحبوب فأهمها القمح، الذي يبلغ محصوله السنوي ١٠ ملايين طن متري، بينما يغل الشعير، وهو ثاني محاصيل الحبوب ٣,٢٥٠,٠٠٠ طن، أما الذرة فهي ليست واسعة الانتشار، حيث لا يوجد ما يكفي من ماء المطر. وتقتصر زراعة الجودار على تربة الجبال الفقيرة، بينما تعتمد زراعة الأرز على الري. ورغم الجهود التي بذلت في السنوات الأخيرة لزيادة الرقعة المزروعة، وتحسين الإنتاج، فإنه لا يزال يوجد ٢٠ مليون فداناً بوراً كل عام، وهي نصف الأرض المزروعة (فيما عدا الكروم والبساتين). أما التبغ، والقطن، وبنجر السكر، والشمش، والتين، والبندق فتنتج بكميات كبيرة. وتزيد أرقام الماعز والغنم على أعداد الماشية، مما يدل على فقر المراعي عامة. ويعمل ١٢٪ فقط من السكان في الصناعة، وتأتي في مقدمتها صناعة نسيج القطن، والصوف، والحريز. وقد اشتهرت السجاجيد التركية منذ قرون. ومن حسن حظ تركيا أنها من بين أقطار البحر المتوسط، تمتلك كميات كافية



الجسر الذهبي فوق القرن الذهبي



منظر شائع في هضبة الأناضول

الداخل

يتكون الداخل من نمطين من الأرض : هضبة الأناضول في الغرب ، والمرتفعات الشرقية . أما هضبة الأناضول فهي إقليم جبلي ، وتختلف اختلافا كبيرا عن السواحل في المناخ ، فأمطارها أقل ، وشتاؤها أشد بردا ، وصيفها أكثر حرا . وقد أدى اقتران المطر القليل ، وحرارة الصيف المرتفعة ، إلى انتشار الجلب ، فأصبح معظم الهضبة شبه صحراء أو مراعى فقيرة . وهناك عدد من البحيرات تقع أسفل جبال طوروس ، وكثير منها ملحي ، ومعظمها ، إن لم يكن كلها ، ضحل . ويتحول كثير منها إلى سبخات من الطين في فصل الجفاف . ويحد الهضبة من الجنوب ، عدد من القمم البركانية المرتفعة ، وأعلىها جبل إرسيا (٤٢٨٢ مترا) ، والذي تغطيه الثلوج في الشتاء . ويسقط الثلج عدة أشهر في السنة . وعندما يذوب الثلج ، يمد السهول على مهبط الجبال بالمياه . وتقع بحيرة طوز Tuz في الجزء الشرقي من هضبة الأناضول ، وتغذيها جداول مائية ، تشق طريقها في مسطحات الملح ، ويستخرج الملح من حافات هذه البحيرة .

وتقع شرق هضبة الأناضول ، منطقة تتكون من قم ، وبراكين ، ومسطحات لابة ، وأودية ، وخنادق ، ويرتفع عدد من الجبال إلى ما يزيد على ٣٣٣٠ مترا ، ويرتفع جبل أرارات إلى ٥٦٤٨ مترا . ويحل الربيع في المناطق الأقل ارتفاعا جنوبى بحيرة فان Van في شهر مارس ، ولكنه يتأخر إلى مايو في الجبال الجنوبية . وتغطي الغابات الكثيفة من البلوط والشرين ، الشمال الغزير المطر ، فتتخفض درجة الحرارة . أما إلى الجنوب ، فالغابات أكثر تفرقا ، وتقتصر على الأراضي المرتفعة ، وتسود ظروف شبيهة باللاستيب Steppe كلما اتجهنا إلى الحدود الجنوبية لتركيا . أما في الوديان التي تكثر فيها المياه ، فتنتشر المروج ، وتزرع الحبوب والكروم . ولا تزال بعض الحيوانات الوحشية تعيش في الأجزاء النائية من تركيا ، مثل الغنم الوحشى ، والخنزير ، والوعل ، والدب الأغبر الذى يعيش في الجبال ، والغزال وابن آوى في السهول .

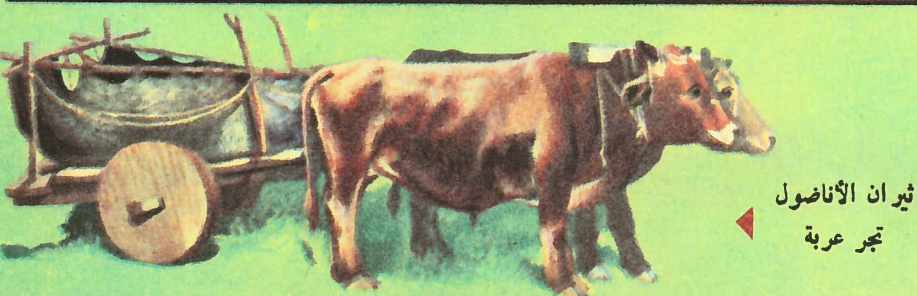
الساحلى نفسه ، فهو ضيق وغير مطرد الامتداد . وقد بلغ من وعورة المواصلات الأرضية ، أن قام عدد من الموانئ الصغيرة ، يخدم كل منها ظهيرا صغيرا . وتسقط على هذا الساحل أمطار غزيرة ، ولاسما في جزئه الشرقى . ومن ثم ، فإنه لا يزرع به إلا عدد قليل من أشجار الزيتون ، إذ أنه لا يعرف فترة جفاف حقيقية في الصيف ، ولو أنه تنمو به أشجار الطباق على نطاق واسع ، وفي أقصى الشرق ، ثمة مزارع للشاي .

وتنهض جبال طوروس دجلارى في الجنوب ، منحدره من البحر المتوسط ، وتغطي الأشجار سفوحها العليا المطلة على البحر . أما السفوح الشمالية فهي أشد جفافا ، ولا تنمو بها إلا حشائش قليلة ، وليس هناك سهول منخفضة غير سهول أنطاليا وأضنة ، وكل منها ينتج الأرز ، بينما يعرف الثاني بإنتاج القطن .



استخدام الأرض في تركيا

أرض منزرعة تشم على ٣٣٪	٣٧٪ مراعى	١٤٪ غابات	١٦٪ غير منزرعة
---------------------------	-----------	-----------	----------------



ثيران الأناضول
تجر عربة

من مصادر الفحم . ويحتوى حقل إرجلي Eregli على عروق عديدة سمكة من الفحم . إلا أن إنتاج الفحم يبلغ ٤,٦٨٤,٠٠٠ طن متري ، والمجنبت ٣,٧٥٣,٠٠٠ طن متري ، ونصيب الشخص من الفحم منخفض جدا . ويستخرج خام الحديد من دثريجي Divrigi . ويبلغ إنتاج خام الحديد ٢,٥٠٢,٠٠٠ طن سنويا ، وتركيا غنية جدا بالمعادن غير الحديدية (التي لا تحتوى على حديد) ، فهي تنتج ربع إنتاج العالم من الكروم . كما يستخرج النحاس ، والكبريت ، والأنتيمون ، والمنجنيز . كذلك بدأ إنتاج زيت البترول في جازازان ورامان .

التماسيح



في المناطق الحارة ، تقتل التماسيح في كل عام عددا لا بأس به من الناس . فهي تأكل اللحوم بشراسة ، ومن الصعب مشاهدتها في الماء ، لأنها تعوم وعيونها وأذنها هي الظاهرة فقط فوق سطح الماء ، فترى وكأنها قطعة خشب طافية . إن تمساحا يزيد طوله على ثلاثة أمتار بقليل ، قد يتغلب على رجل ، إذا ما تمكن من سحبه إلى عمق كبير في الماء حتى يغرق . وتهاجم التماسيح الأشخاص عند خوضهم في الماء ، وكذلك النساء عند قيامهن بغسل الملابس في الأنهار . ومن الممكن أن تهاجم شخصا وهو يمشي على شاطئ النهر ، فهنا يجرف التمساح Crocodile غالبا أرجل الرجل بضربة من ذيله ، ويقبض عليه قبل أن يستعيد توازنه . وعند سحبه القريسة إلى الماء ، يلفها عدة مرات ، فلا تتمكن من إيجاد مخرج لها ، أو تبدى أية مقاومة فعالة . وتفترس التماسيح ، الحيوانات البرية والأليفة على السواء ، ولكنها تعتمد في غذائها على صيد السمك ، والكائنات الأخرى الصغيرة .

ولقد كان يعتقد أن التماسيح تحفظ جسم الحيوان الكبير في فجوة تحت شاطئ النهر ، ربما يتحلل ، فتستطيع تحطيمه والتهامه بسهولة ، بيد أنه ليس ثمة أساس لصحة هذا الاعتقاد ، فالتمساح الكبير قوى ، للدرجة تمكنه من تجزئة الجسم بانتراعه بقوة وتمزيقه.

صيد التماسيح

تصاد التماسيح وتقتل أيضا وجدت ، وذلك لأن الناس ترهبها ، وتكن لها الكراهية ، ولأن جلودها له قيمة كبيرة في صنع أدوات الزينة الجلدية . وتستخدم لذلك عدة طرق ، فقد تصاد بالشباك ، وتقتل بالبلط والرماح ، وقد تمسك مثل السمك ، بخفافه بطعم وحبل طويل قوى جدا ، أو يمكن صيدها بالرماح أو البنادق . وفي النهار ، يكون من الصعب القرب منها لشدة حرصها ، وأفضل وقت لاصيدها يكون ليلا ، وذلك باستخدام قارب به ضوء قوى جدا . ونظرا لأن عيونها تعكس الضوء (مثل ما تفعله عيون الكلب والقط) ، فيمكن رؤيتها على مسافة بعيدة ، ويبدو أنها لا تعلم أن الضوء الشديد علامة خطر لها . وإذا كنت تصطاد التماسيح ، فعليك أن تصوب ضربتك إلى المخ تماما ، وإلا فإنها ستقاوم بعيدا في الماء العميق وتختفي . ويؤخذ أحسن جلد مزركش من جلد البطن ، لأنه أكثر مرونة من جلد الظهر ، وكذلك القشور القرنية Horny Scales الموجودة به أصغر ، وأقل صلابة .

التاريخ الطبيعي للتماسيح

التماسيح من الزواحف Reptiles ، وتكون مجموعة قديمة جدا من هذه الطائفة . وقد ظهرت على الأرض خلال حقبة الميزوزوي Mesozoic Period ، عندما ازدهرت الديناصورات Dinosaurs الكبيرة منذ ١٠٠ - ٢٠٠ مليون عام انقضى . ولقد كانت تلك التماسيح الأولية ، كثيرة الشبه بالتماسيح الموجودة الآن ، ولكن بعضها كان أكبر . وكان طول إحداها المسمى فوبوسيوكس Phobosuchus (اسم مشتق بعناية من كلمتين يونانيتين بمعنى تمساح مخيف) ، يبلغ من ١٥ - ١٦ مترا ، وغالبا ما كان يفترس الديناصورات الضخمة المائتة آكلة النباتات ، ويمكنك مشاهدة مجموعة الفوبوسيوكس في قاعة حفريات الزواحف ، الموجودة بمتحف التاريخ الطبيعي بلندن .

وتمساح إستواريين Estuarine ، هو أكبر أنواع التماسيح التي تعيش الآن ، ويوجد في آسيا من الهند إلى جنوب الصين ، وفي شمال أستراليا . وعلى الرغم من نزوحه وقلبرته على التكاثر ، عندما يبلغ طوله أكثر من ٣ أمتار ، فهو يستمر

في النمو طوال حياته . ولقد سجل طول أكبر تمساح من البنغال بالهند ، حيث بلغ الطول ١١ مترا ، ومحيط جسمه من المنتصف أكثر من أربعة أمتار . ومن النادر جدا في هذه الأيام ، وجود عينات طولها أكثر من ستة أمتار ونصف ، فهي تنتشر في كل مكان ، ويتم صيدها بدون رحمة ، حتى إنه لا تنبأ للقليل منها فرصة الوصول عموما إلى حجم كبير . ويوجد أصغر أنواع التماسيح في أمريكا الجنوبية ، ويعرف باسم كايمان بالبير وسنس Caiman Palpebrosus ، الذي يصل طوله بالكاد إلى ١٢٠ سنتيمترا .

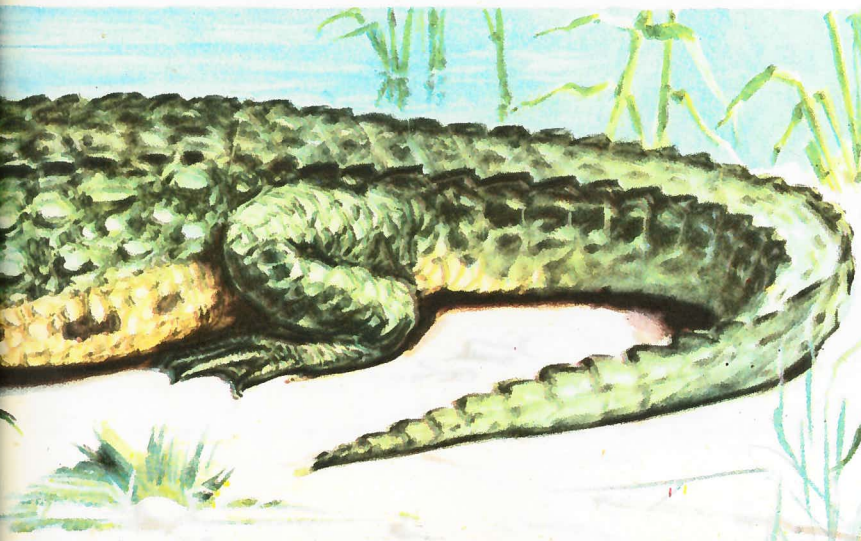
وجميع التماسيح حيوانات مائية ، أي أنها مهيأة للمعيشة في الماء ، وذيلها مفلطحة من جنب لآخر ، مثل مجذاف للسباحة الماهرة . وتوجد في أنوفها قبة صغيرة أو نتوء Bump على طرف البوز Snout ، حتى يمكنها التنفس وهي غاطسة كلية تحت الماء ، ويمكنها أن تمكث مدة طويلة تحت الماء بدون تنفس . كذلك فلان عيونها توجد على قمة الرأس ، وبهذا يتمكن التمساح من صيد فريسته على الأرض دون

خروج تمساح من البيضة



ظهوره . والأسنان مخروطية ومدببة ، ومصممة للقبض على الفريسة ، وليس لمضغها أو تمزيقها ، ومن ثم ، فإنها تكون مضطرة لابتلاع طعامها على هيئة كتل كبيرة ، ولا بد أن تكون لديها قوى عظيمة للهضم ، إذ غالبا ما توجد أحجار في معدة التماسيح ، قد تساعدها في هضم الطعام وتحميه وطحنه ، ومن المحتمل أن تكون قد ابتلعها مصادفة . ومعظم لسان التمساح ملتصق بالفك السفلي ، ويتحرك حركة محدودة . وجميع التماسيح ، عدانوع من الموجود منها ، تعيش في مياه الأنهار ، والبحيرات ، والمستنقعات . ويقطن تمساح إستواريين منابع الأنهار ، وأحيانا ينتقل سباحا في البحر من نهر لآخر .

تمساح النيل على شاطئ النهر ، في انتظار فريسته



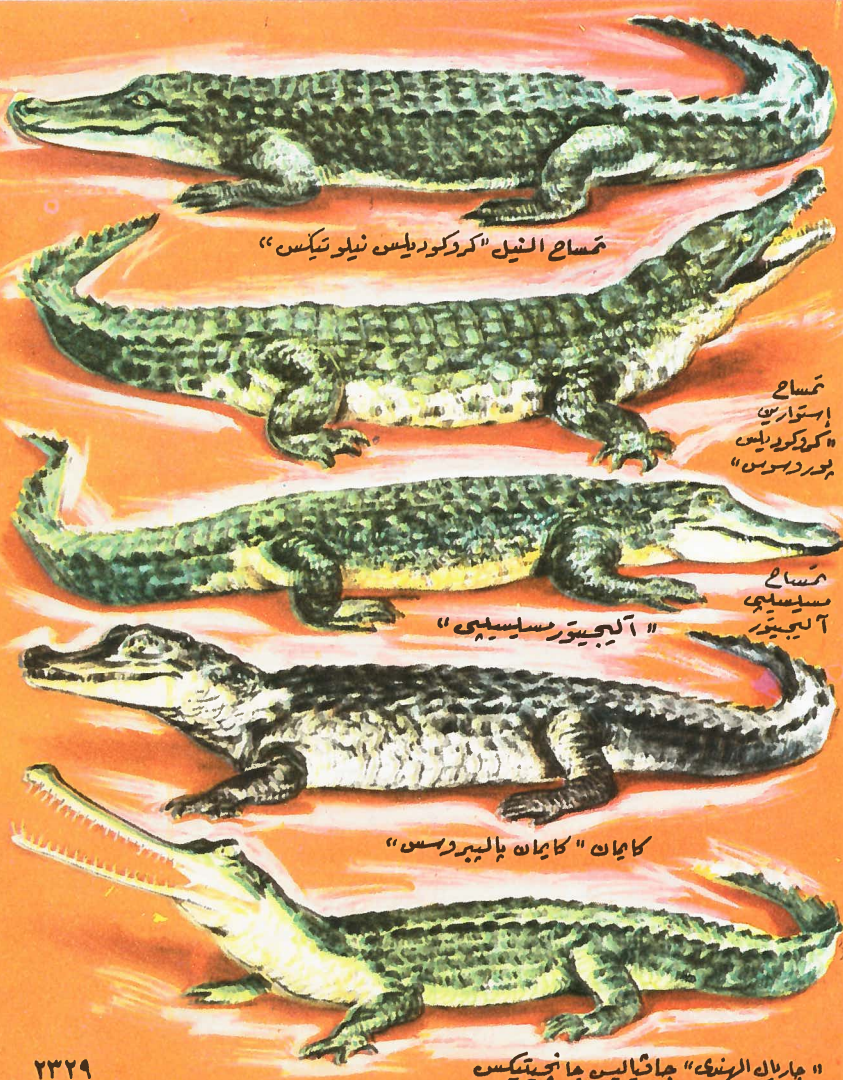


▲ صيد التماسيح في أفريقيا . تصاد هذه التماسيح وتقتل لأنها خطيرة ، وكذلك لأن جلودها ثمين

العلوى ، وتظهر عندما يفلق الحيوان فمه ، ولكنها في حالة الأليجيتور تختفي في نفرة بالفك العلوى .

وتماسيح جاربال أكثر اختلافا من التماسيح العادية عن الأليجيتور . فالفكوك طويلة ورقيقة، كالمنقار ، ومزودة بأسنان حادة صغيرة . وهي آكلة أسماك ، ولا تعد خطيرة على الإنسان أو الحيوانات الكبيرة . ويوجد نوعان منها، الجاربال الهندى والجاربال الكاذب، الذى يوجد فقط في شبه جزيرة الملايا وسومطرة . والجدير بالذكر أن عدد أنواع التماسيح الكلى الآن ٢١ نوعا .

لم ترسم الصور أسفل بنفس المقياس ، فتمساح إستوارين أكبرها ، وتمساح كايمان أصغرها



وتقضى جميع التماسيح بعض أوقاتها على البر ، ابتغاء الدفء بحرارة الشمس على الشواطئ الرملية والطينية ، أو تنتقل (غالبا ليلا) من بحيرة أو مستنقع ، إلى بحيرة أو مستنقع آخر .

التكاثر

تخرج التماسيح إلى الأرض ، لوضع البيض الذى يبلغ في الأنواع الكبيرة حجم بيض الأوز ، ويدفن تمساح نيل مصر وشمال أفريقيا ، البيض في الرمل ؛ ولكن أنواعا أخرى ، ومنها تمساح إستوارين ، يصنع نوعا من العش ، يتألف من كومة من أعشاب مائية وبقايا الخضروات ، حيث يدفن البيض . وبهذا يستخدم العش لغرض مزدوج ، فهو يخفى البيض ويحفظه عند درجة حرارة ثابتة ، ومرتبعة إلى حد ما . ثم هو يبقى داخل العش محتفظا بحرارته ، بواسطة الخضروات الرطبة العفنة (تماما مثل كوم سباخ) ، وبذلك تتم حماية البيض من حرارة الشمس الشديدة في المناطق الحارة . وتحرس الأم بيضها حتى الفقس ، ولكن الصغار عليها أن ترعى نفسها .

أنواع مختلفة من التماسيح

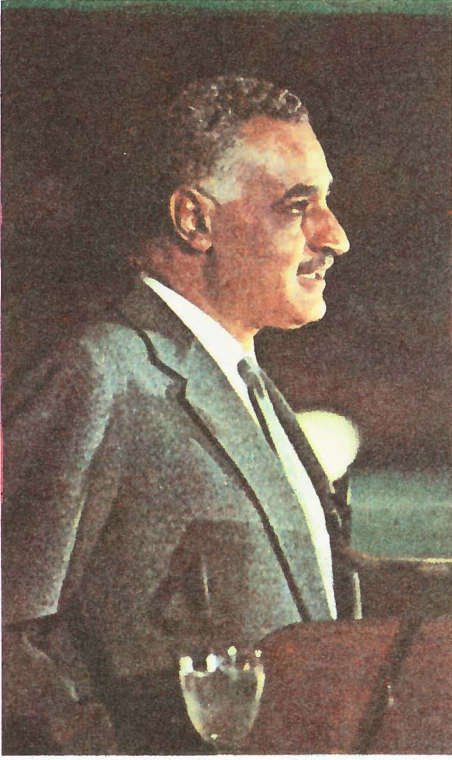
يمكن تقسيم التماسيح إلى ثلاثة مجموعات : التماسيح الحقيقية ، وتماسيح أمريكا (أليجيتور Alligators) ، والتماسيح طويلة الأنف (جاربال Gharials) . وتوجد التماسيح الحقيقية في الأجزاء الحارة من أفريقيا ، وآسيا ، وأستراليا ؛ وتشمل أكبر الأنواع مثل إستوارين ، وتماسيح النيل .

وتماسيح أليجيتور هي تماسيح العالم الجديد ، أمريكا الشمالية والجنوبية ، رغم وجود نوع واحد ، وهو أليجيتور سينسنس *Alligator sinensis* في جنوب الصين ، وتنتمي تماسيح كايمان *Caimans* الصغيرة الموجودة في أواسط وجنوب أمريكا إلى هذه المجموعة . والفرق بين التماسيح الحقيقية والأليجيتور جد طفيف . ففي التماسيح ، يقابل السنة الرابعة في الفك السفلى من كل جانب ، انخفاض في الفك



تاريخ مصر الحديثة "الجزء الثاني"

الفترة الناصرية



جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء من عام ١٩٥٤ إلى عام ١٩٥٦ ، ثم رئيسا للجمهورية من عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٧٠. وقدم بناء السد العالي .

أن حضور مصر لمؤتمر باندونج في أبريل ١٩٥٥ ، بداية لهذا الاتجاه في السياسة الداخلية والخارجية لعبد الناصر . ففي باندونج ، وهو المؤتمر الذي كان يضم دول عدم الانحياز ، اختلط عبد الناصر بنهرو زعيم الهند الراحل ، وشواين لاي رئيس وزراء الصين الشعبية (اليوم) ، وسوكارنو رئيس جمهورية إندونيسيا السابق ، وغيرهم ، وتعرف على الاتجاهات التقدمية التي كانت تحتاح العالم الثالث آنذاك . لذلك كان مؤتمر باندونج ، بمثابة نقلة واضحة في مسار الثورة المصرية ، وكذلك في الفكر الناصري نفسه . هذا في ناحية العلاقات الخارجية الأجنبية ، أما فيما يتعلق بالعالم العربي ، فقد شهدت هذه الفترة (١٩٥٤ - ١٩٦١) تحقيقا عمليا للقومية العربية ، إذ قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، كما شهدت من قبل بشهور قليلة الوحدة الاندماجية بين مصر وسوريا ، وقيام حكومة مركزية موحدة ، وحكومتين إقليميتين في القطر السوري والقطر المصري . وبمعنى آخر ، أن فكرة القومية العربية

تعتبر الفترة من ١٩٥٤ حتى وفاة عبد الناصر في سبتمبر من عام ١٩٧٠ ، من أهم المراحل التي مرت بتاريخ المجتمع المصري . ويمكن تقسيم هذه الفترة الناصرية إلى قسمين : الفترة الأولى ما بين ١٩٥٤ إلى ١٩٦١ ، وقد شهدت هذه الفترة أحداثا غاية في الأهمية : في مقدمتها العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، أي عدوان بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر ، في أعقاب تأميم عبد الناصر لشركة قناة السويس العالمية . وقد فشل العدوان بسبب موقف الرئيس الأمريكي الراحل أيزنهاور ، وبسبب الإنذار السوفيتي الذي وجه إلى الدول المعتدية . كذلك شهدت هذه الفترة بداية تحقيق سياسة عدم الانحياز ، التي كانت نقطة البدء فيها ، اشتراك مصر اشتراكا إيجابيا في مؤتمر باندونج ، وما صحبه من المؤتمرات ، وإعلان مصر الاعتراف بالصين الشعبية ، وقطع علاقتها بالصين القديمة الوطنية في جزيرة فرموزا . وكثير من المؤرخين الغربيين والمصريين ، يعتقدون

الجزء الثاني من التاريخ الحديث لمصر



خلال هذه الفترة ، أخذت تتحقق بالفعل ، فلم تكن حلما . وفي المجال الداخلي ، شهدت مصر عدة مشروعات إنتاجية ، في مقدمتها مشروع السد العالي ، ومجانبة التعليم في كافة المراحل الدراسية ، بما في ذلك الجامعة . أما الفترة الثانية من ١٩٦١ إلى ١٩٧٠ ، فشهدت أحداثا كبيرة في واقع مصر وفي العالم العربي . فبالنسبة للعالم العربي ، تأمرت القوى الرجعية السورية ، التي أنكرت الخطوات الاشتراكية التي بثها عبد الناصر . ولاشك أن الإدارة في سورية كانت قد ارتكبت أخطاء كثيرة ، وتحت شعار هذه الأخطاء ، برزت المعارضة للوحدة . غير أن الحقيقة تكمن في أن السبب الرئيسي في قيام هذا الانفصال ، يرجع إلى القرارات الاشتراكية التي كان عبد الناصر يعلن تطبيقها على دولة الوحدة . فليس صحيحا تماما أن أعداء الوحدة هم الذين تأمروا على الوحدة ، وأعلنوا استقلال سورية ، إنما الأصح أن أعداء الاشتراكية كانوا هم المتأمرين . والدليل على ذلك أن أهم الذين تأمروا على الوحدة بعد القرارات الاشتراكية ، كانوا من قبل من أكبر أنصار هذه الوحدة . وأعلنوا استقلال سوريا ، مع العلم بأن مصر ظلت - في اسمها وعلمها - تنسب بالجمهورية العربية المتحدة . وهي التسمية التي أطلقت عام ١٩٥٨ على الوحدة بين مصر وسوريا . كذلك في

المجال العربي ، شهد العالم العربي ثورة اليمن الشمالية وقيام الجمهورية هناك ، بعد طرد آخر الأئمة اليمنيين ، وهو الأمير البدر . وقد ساعدت مصر هذه الثورة عسكريا وماديا إلى أقصى طاقة ممكنة .

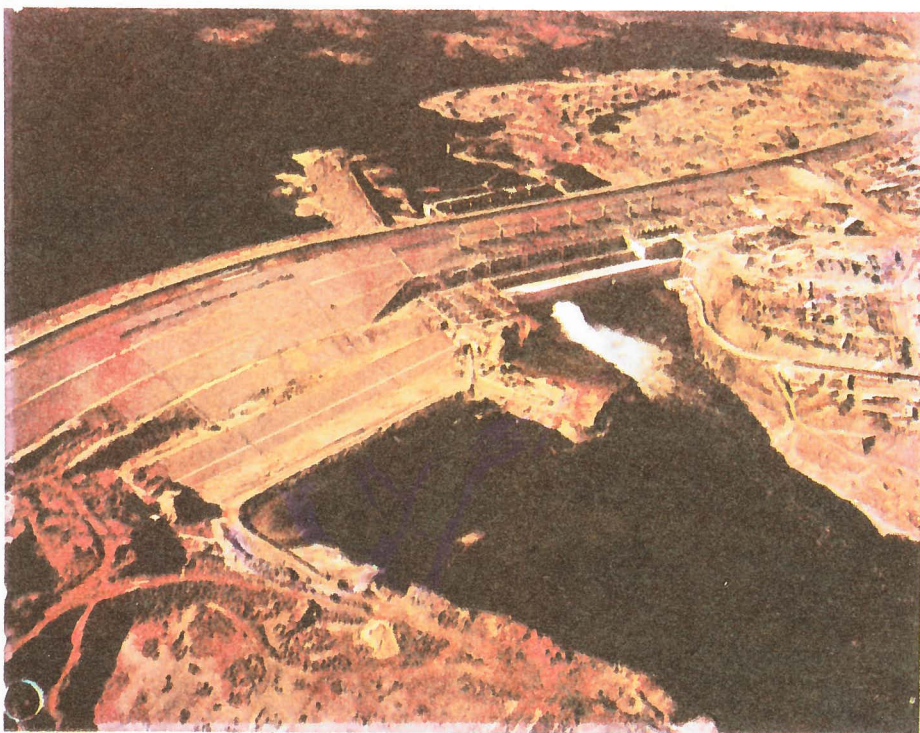
العدوان الإسرائيلي

وفي هذه الفترة أيضا ، حدث العدوان الإسرائيلي في يونيو عام ١٩٦٧ ، واستطاعت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية أن تشل القوات العربية في الجبهات الثلاث: مصر ، سوريا ، والأردن ، وانتزعت من مصر شبه جزيرة سيناء . وبعد العدوان مباشرة ، أخذ عبد الناصر يعمل على إعادة تسليح الجيش ، وبداية ما عرف بحرب الاستنزاف . وبدا كأن العالم العربي قد أصيب بنكسة لن يفيق منها . ولكن الموقف تغير تماما بقيام ثورة السودان في ٢٥ مايو ١٩٦٩ ، وقيام ثورة ليبيا في أول سبتمبر ١٩٦٧ .

المجال الداخلي

هذا في المجال العربي ، أما في المجال الداخلي ، فإن عبد الناصر بدأ رحلته الطويلة في تطبيق الاشتراكية منذ ١٩٦١ . فحددت الأرض الزراعية للشخص بمائة فدان بدلا من مائتين ، وكتب الميثاق الوطني ، الذي حدد فيه الكثير من معالم المستقبل ، ويعتبر الميثاق دون جدال ، مرشد ثورات العالم الثالث ، أو الدول النامية . والكثير حتى من المفكرين الغربيين ، يطلقون على مجموعة المواقف والأحكام الداخلية والخارجية ، وفي مقدمتها الميثاق ، « الناصرية » . والحقيقة أن المتأمل في الفكر الناصري ، يلحظ أنه محاولة دقيقة للجمع بين أبعاد الفكر التقدمي ، مع التسكك بالقيم الدينية . والناصرية تتميز بميزة فريدة ، فهي ليست حبيسة نظرية معينة ، ولكنها تخضع نفسها دائما للخطأ والصواب . ولعل شخصية عبد الناصر وذكائه واستعداده المستمر لتعديل مواقفه ، لعل في كل هذا تكمن مرونة الناصرية أو الفكر الناصري . وجددير بالملاحظة ، أن الفكر الناصري قد انتشر في العالم العربي بمشرقه ومغربيه . فالثورة الليبية والثورة الجزائرية على سبيل المثال ، ليستا إلا تطبيقا بشكل أو آخر للفكر الناصري .

ومن أهم أجزائه ، تمثيل الفلاحين والعمال بـ ٥٠٪ على الأقل في كل المجالس النيابية ، وجرى تعريف لمن هو العامل ومن هو الفلاح . وبذلك بدأت ثورة اجتماعية ضخمة ، كما تحول التنظيم السياسي من الاتحاد القومي إلى الاتحاد الاشتراكي . وخوفا من أن يمتد هذا التيار التقدمي في منطقة الشرق الأوسط ، قامت إسرائيل ، مسنودة ومدعمة إلى أبعد حد من الولايات المتحدة الأمريكية ، بهجوم خاطف لإحباط الثورة الاجتماعية الكبرى التي أحدثها عبد الناصر .



السادات يخلف عبد الناصر

وكان شاغل عبد الناصر من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٠ إعادة بناء الجيش المصري ، ولكنه كان مريضا بالقلب ، فتوفي في سبتمبر ١٩٧٠ ، ليخلفه شريكه في الكفاح الرئيس محمد أنور السادات .

حرب أكتوبر ودحر الجيش الإسرائيلي

وبعد أن تخلص السادات من مراكز القوة في بداية صيف ١٩٧١ ، أخذ يعمل على استكمال القوة العسكرية المصرية ، مع الاحتفاظ بعلاقات ودية للغاية مع الدول العربية ، حتى بدأ فجأة هجومه لطرد الإسرائيليين من سيناء في السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ، وهي المعركة التي أحرز فيها الجيش المصري ، كما أحرز الجيش السوري ، نصرا أكيدا . ومهد هذا الانتصار لمفاوضات تجري حاليا لاسترداد الأراضي العربية المحتلة ، ووضع أسس سلام دائم في منطقة الشرق الأوسط .



البزاعم

في بداية الربيع من كل سنة ، تظهر أوراق صغيرة رقيقة ، وتنتشر فوق جميع شجيرائنا وأشجارنا كغلالة خضراء ، فتبدو بداية حياة جديدة . وحتى أشجار البلوط Oaks المسنة المشوهة ، والردار Elms المنتثرة ، تكتسى بعباءة من أوراق صغيرة رقيقة ، ذات لون أخضر باهت . ويعود السبب في تكرار حدوث هذه المعجزة كل سنة ، إلى البراعم Buds .

والبراعم عبارة عن أغصان صغيرة ، محمية جيدا ، أوراقها متزاحمة ، ومقدر لها أن تصبح أغصانا ، أو أوراقا ، أو أزهارا . والبراعم الطرفية Terminal توجد عند أطراف الجذوع أو الفروع ، ووظيفتها إضافة طول إليها . أما البراعم الإبطية Axillary ، فتوجد عند موضع اتصال الأوراق أو الأغصان ، وسيكون مستقبلها أن تتفتح وتنمو إلى فروع وأوراق جديدة ، أو إلى أزهار . وبالإضافة إلى هذين النوعين الرئيسيين من البراعم ، فإن كل شجرة أو شجيرة تكون لها براعم كامنة Dormant ، تستطيع أن تكمن بداخل القلف Bark مدة قد تطول إلى مائة سنة ، دون أن تحاول أن تشق طريقها ، ولكنها دائما تنشط عند الحاجة ، كأن يلف الجو السيء ، أو يد الإنسان ، الأغصان الموجودة على الشجرة . وعلى ذلك فالبراعم لا تقدم فقط النمو الموسمي Seasonal لتجديد الأشجار ، بل هي تؤمن أيضا ، وعند الحاجة ، باستمرار الحياة نفسها في الشجرة . فلو قطعنا ، مثلا ، رأس شجرة تنوب Fir ، فإن البرعم الطرفي (النهائي) لأحد الأفرع الجانبية يتفتح ويستطيل ، فيزيد من طول الفرع . وعلاوة على ذلك ، فإن هذا البرعم ، بدلا من أن يتخذ الاتجاه الأفقي المعتاد له ، ينمو رأسيا ويستطيل إلى أعلى ، كي يحل محل قمة الجذع التي اقتطعت .

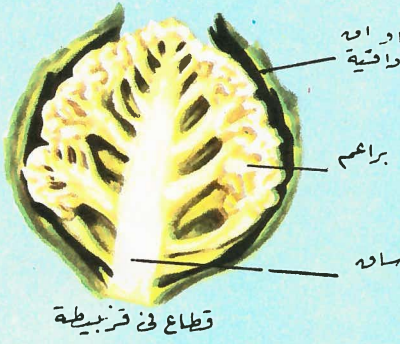


قمة غصن اليلك Lilac وبه برعم طرفي ، بدأ بالكاد تفتحه ، كاشفا عن أزهار صغيرة كثيرة . أما البرعمان الجانبيان ، فيستجنان أغصانا وأوراقا جديدة .

تغطي البراعم من الخارج بحراشيف Scales جلدية قوية ، تتراكب كل منها فوق الأخرى كالقزميد Tiles على سطح المنزل . وتوجد عدة طبقات من البراعم ، لأن عليها أن تحمي الجزء الداخلي الرقيق من البرعم ضد قسوة الشتاء ، وتمنع تبخر الماء وفقدانه . ويتألف الجزء الداخلي جدا من البرعم من خلايا فتية ، قادرة على أن تتحول إلى أغصان ، وأوراق ، أو أزهار ، وعادة ماتساند حراشيف البرعم في وظيفتها الوقائية ، بتراكيب إضافية بارعة .

لذلك نجد في كستناء الحصان Horse Chestnut طبقة مبطنة من الفراء Fur ؛ وفي هذه الشجرة وأنواع خاصة من الحور Poplar ، تغطي البراعم من الخارج بطبقة من الراتنج Resin ، أما براعم الصفصاف Willow ، فلها غطاء خارجي شعري Hairy .

ويتمتع برعم القرنبيط Cauliflower بوقاية خاصة ، فالجزء الأبيض من النبات ، هو في الواقع برعم شديد التضخم . والأجدر بنا أن نعتبر القرنبيطة كلها برعما لتفت أوراقه من حوله ، بغرض وقايته من البرد .



يوجد نوعان من البراعم في النباتات : البرعم الزهري Flower-bud ، وهو منتفخ Plump ، وعند تفتحه يعطي زهرة ؛ والبرعم الورقي Leaf-bud ، الذي يكون مذهب الشكل Tapering ، وينتج بنموه أوراقا وأغصانا جديدة . والعادة أن الأغصان العليا من الشجرة ، هي التي تحمل براعم ورقية ، بينما تحمل الأغصان الأخرى براعم من كلا النوعين . وبدراسة كمية البراعم المختلفة وطريقة توزيعها ، يعرف البستاني كيف يقلم Prune أشجار فاكهته .

هذه هي الهيئة التي تبدو عليها أطراف بعض أغصان الكرز في نهاية الشتاء . ويظهر في الصورة كلا النوعين من البراعم ، الورقية (مدببة) ، والزهرية (منتفخة) .



المراحل المختلفة لنمو برعم كستناء الحصان



أنواع مختلفة من براعم الأشجار





منذ حوالى ٢٥ مليون سنة مضت ، جرفت الرمال المتحركة بجوار الأنهار ، آلاف من الثدييات . لقد ساعدت حفائرها في تقدير شكل هذه الأسلاف القديمة

الحيوانات القديمة

سهلا طينيا جافا ، يفصلها عن البقايا الضئيلة لأحد الأنهار . وهنا اندفعت حيوانات المقدمة في عجلة فوق الطبقة الطينية ، ثم انخفضت سرعتها ، وتوقفت واستدارت للعودة إلى الخلف ، عندما غاصت أجسادها خلال القشرة الرقيقة الجافة ، ولكن الألوف الأخرى المصابة بجنون العطش دفعتها إلى الأمام ، أو داسها بالأرجل ، لكي تغوص وتدفن في أعماق الطين المتناسك .

لقد حدث كل هذا ، قبل ظهور الإنسان على الكرة الأرضية بملايين السنين . فكيف علمنا إذن بهذه المأساة القديمة وغيرها من المآسي ، التي حدثت في ظروف مشابهة ؟ إننا نجد اليوم في أماكن مختلفة من أمريكا الشمالية والعالم ، تلالا منخفضة من الحجر الرملي والطين المتصلب ، والتي تكونت من رمال وطين العصور القديمة . وقد طمرت في هذه التلال أعداد لا حصر لها من العظام المتحجرة . وقام علماء الحفريات Palaeontologists (المتخصصون في البقايا الحيوانية المتحجرة) باستكشاف هذه العظام المتحجرة ، ونسبتها إلى أنواع مختلفة . وقد ساعدت هذه العظام على تكوين فكرة دقيقة عما كانت عليه هيئة هذه الحيوانات المنقرضة .

منذ خمس وعشرين مليون سنة ، كان الغرب الأقصى لأمريكا الشمالية مكونا من سهول شاسعة ، تقطنها أعداد لا حصر لها من الحيوانات المختلفة . وكان بعض هذه الحيوانات يعيش وحيدا أو في مجاميع صغيرة ، بينما هام بعضها الآخر في قطعان كبيرة ، يتكون كل منها من عدة آلاف من الحيوانات .

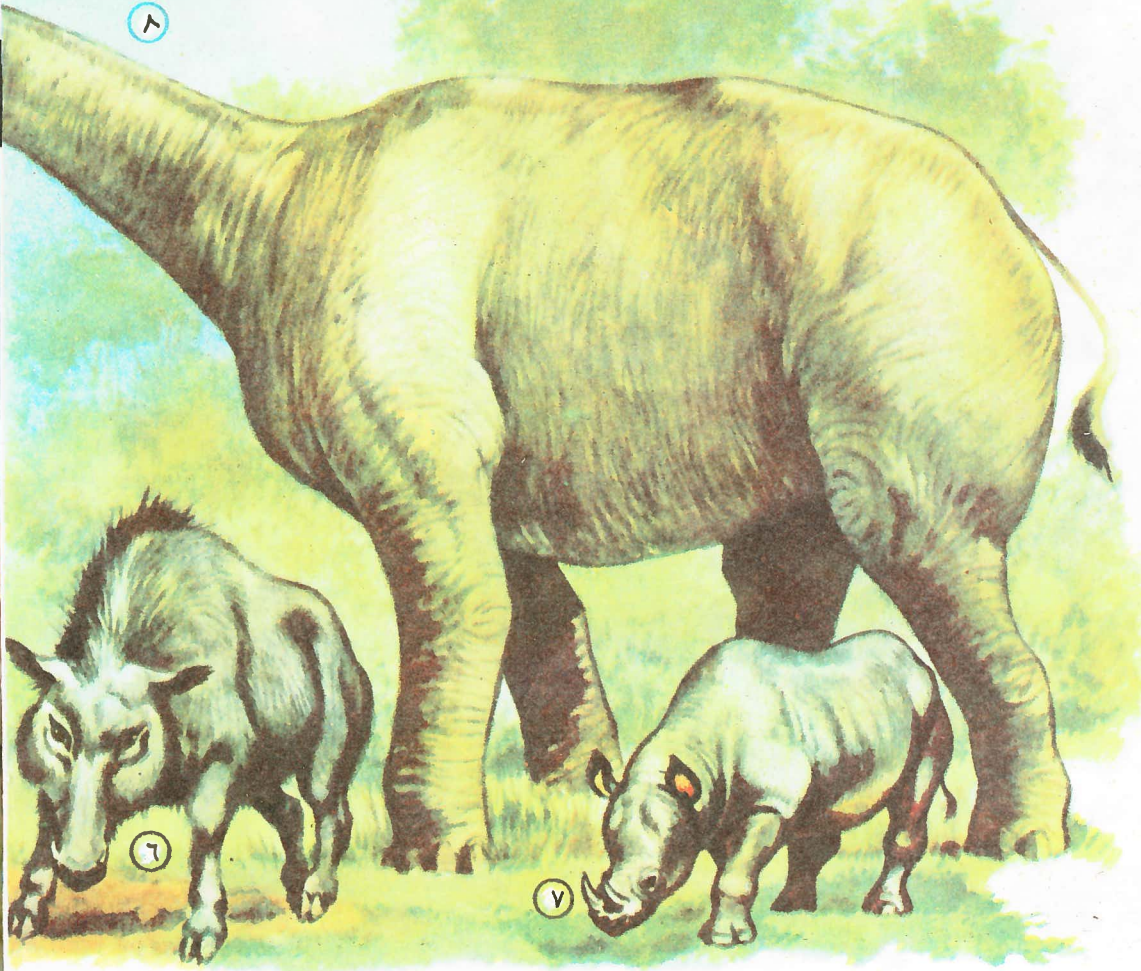
وانسابت على السهول الشاسعة أنهار عظيمة ، كانت تغمر من آن لآخر ضفافها بالمياه . وكان انحسار المياه يؤدي غالبا إلى تغير مجرى النهر ، أو إلى انسيابه في فروع تلتقي ثانية ، أو تجزئه إلى عدد من المجارى الصغيرة .

وقد تكونت بهذه الطريقة ، مستنقعات وبحيرات متسعة . فإذا حل فصل الجفاف ، اقتصر سريان الماء على المجارى الرئيسية للنهر ، التي تحتل أحيانا إلى برك واسعة ، تفصلها مسافات شاسعة ، أو تجف تماما . وينخفض مستوى الماء أيضا في المستنقعات ، مما يؤدي إلى جفاف بعضها ، بينما يظل الطين أو الرمل المبلل في بعضها الآخر ، مغطى بقشرة جافة . وقد شكلت أماكن من هذا الطراز ، مصائد خطيرة لأى من الحيوانات الكبيرة إلى حد ما .

وقد وجدت حيوانات الرعى Herbivorous (آكلة النباتات) ، الهائلة في السهول سعيًا وراء الغذاء ، فرصتها السانحة لمرتع خصيب بالقرب من الأنهار والمستنقعات . وكانت القطعان ترعى أثناء الفصول المطيرة على امتداد ضفاف الأنهار ، كما أنها وجدت فرصتها للنمو والتكاثر .

وقد يحل الجفاف في بعض السنين نتيجة لانقطاع الأمطار ، فيؤدي ذلك أولا إلى جفاف النهرية الصغيرة ، يتبعها بعض من الأنهار الكبيرة ، وهنا ذبل العشب واختفى . فعرضت الحيوانات لنقص تدريجي في الغذاء ، ثم لم تجد من الماء ما يروى ظمأها ، فاندفعت في أعداد غفيرة خلال السهول الحارة الملهبة بحثا عن الماء . وحينما زكت أخيرا أنوف الحيوانات العطشى ، زادت من سرعتها لتقابل أمامها

تعتبر المتاحف الطبيعية التي من هذا الطراز ، والتي تكونت نتيجة الموت المفاجئ لأعداد كبيرة من الحيوانات ، ذات فائدة كبيرة لعلماء الحفريات . وتعرف هذه أيضا « بطبقات العظام » ، وهي مصدر لا ينضب للحفريات الحيوانية . وقد غاصت الوحوش حينها في المستنقعات أو الرمال المتحركة ، وسقطت في حين آخر خلال الأخاديد العميقة . لقد تكون أحد المصادر الغنية بالعظام المتحجرة في كاليفورنيا ، نتيجة لعدم حرص الحيوانات ، وقصيدها بواسطة القار الزنج في بعض مستنقعات الزيت والأسفلت القديمة .



وتقوم بإرضاعها عقب الولادة . ولقد سميت هذه الحيوانات بالثدييات Mammals ، لأن اللبن تفرزه غدد ثديية Mammary Glands .

تشكيلة رائعة من الحيوانات

عاشت خلال الحقبة الجيولوجية الحديثة ، مجموعة متباينة من الثدييات ، من بينها ما يمكن اعتباره أسلافاً للكثير من الثدييات الحديثة . وقد تم ، على سبيل المثال ، العثور بين طبقات العصر الأيوسيني ، على بقايا حيوان حافري وبدائي صغير ، له أربع أصابع في أقدامه الأمامية ، ويسمى أهيبس Eohipus ، ويقرب من كلب الصيد في حجمه . كما ظهر خلال العصر الأوليجوسيني ، كائن يعرف بميزوهيبس Meshippus ، يتميز بأصابع ثلاث في أقدامه . وبعد هذا جاء مريكيپس Merychippus خلال العصر الميوسيني ، ولكل من أقدامه أصبع وسطي واضحة التضخم . وقد أصبح من الممكن لنا أن نتبع ، عن طريق هذه الأنواع والعديد الآخر من الأنواع المنقرضة ، تطور الحصان خلال عصر الحياة الحديثة Cenozoicera

وفيما يلي مجموعة مختارة من الثدييات الضخمة المنقرضة ، التي عاشت خلال عصور جيولوجية مختلفة لعصر الحياة الحديثة ، وقد جمعنا بينها بدافع السهولة . (٥) موروپس Moropus : كان وحشاً غريب الشكل . وهو يشبه ، كما هو مبين ، حصاناً ذا عنق طويل ، وكانت له مخالب بدلاً من الحوافر . ويقول الخبراء إن أسنانه تبين أنه كان حيوان رعي ، ومن

لماذا استطاعت البقاء ؟

يعلم علماء الحفريات ، أنه لسبب ما ، لعله التقلبات الكبيرة في الأحوال الجوية ، تم انقراض الجزء الأكبر من الزواحف بنهاية الحقبة الجيولوجية المتوسطة . ولكن كيف تمكنت الثدييات ، رغم أعدادها القليلة ، وأحجامها الصغيرة من البقاء ؟ يكاد يكون يقيناً ، أن العامل الأساسي في هذا ، هو دماؤها الدافئة ، وطبقة الشعر العازلة لأجسامها من تقلبات درجة الحرارة . وتنتشر الزواحف حالياً في المناطق الاستوائية والنصف استوائية ، كما أنها نادرة إلى حد ما في المناطق الباردة ، ولا بد لها من البيات الشتوي خلال فصل الشتاء . ويعزى ذلك إلى فقدان الحيوان الزاحف لنشاطه إذا كان الجو بارداً ، وذلك لانخفاض درجة حرارة جسمه . أما الحيوان الثديي ، الذي يمكن تشبيهه بإنسان متدثر بمعطف سميك ، فيمكنه الاحتفاظ بنشاطه في درجات الحرارة المنخفضة ، لأنه يظل دافئاً من الداخل . وتوجد رغم ذلك بعض الثدييات التي تستكن أثناء الشتاء ، ويرجع هذا إلى ندرة الغذاء ، وليس إلى برودة الجو .

والفارق الخارجى الوحيد والآخر بين الثدييات والحيوانات الأخرى ، هو قدرتها على إطعام صغارها باللبن الذي تفرزه غدد البنية . فالزواحف تبيض ، وتترك بيضها فور الانتهاء من وضعه . وهناك قلة من الزواحف ، تقوم بحراسة بيضها ، أو بحمل صغارها ، إلا أنها لا تلبث أن تهجر الصغار ، لعدم حاجتها إلى الاعتماد على الأبوين . أما الثدييات ، فإنها تحمل صغارها أحياء ،

سادت الزواحف الضخمة ، الأرض خلال الحقبة الجيولوجية المتوسطة Mesozoic Era ، التي امتدت منذ ٢٠٠ إلى ٧٠ مليون سنة . وقد انقرضت الغالبية الكبرى هذه الزواحف بنهاية تلك الحقبة . ومن المحتمل أن يكون هذا نتيجة للتغيرات الجوية . وقد نجحت الثدييات ، خلال العصر الحديث التالى ، في أن تخلف الزواحف كسادة للأرض . وقد كانت هناك ثدييات خلال الحقبة المتوسطة ، ولكن يبدو أن غالبيتها كانت مخلوقات صغيرة ، ليست لها أية قدرة على مجابهة الوحوش الجارية كالديناصور . وليس هنالك ما يدعو إلى الاعتقاد حقيقة ، بأن الثدييات قد لعبت دوراً هاماً في إفناء الزواحف . فالواضح أن الثدييات قد تضاعفت وانتشرت عندما انقرضت الزواحف .

وكانت ثدييات الفترة المبكرة للعصر الحديث Cenozoic صغيرة نسبياً ، رغم العثور على عظام عدد قليل من الوحوش الضخمة . لقد عاشت أضخم وأروع الثدييات خلال الفترة المتوسطة للعصر الحديث ، وذلك أثناء العصرين الأوليجوسيني والميوسيني (انظر الجدول) .

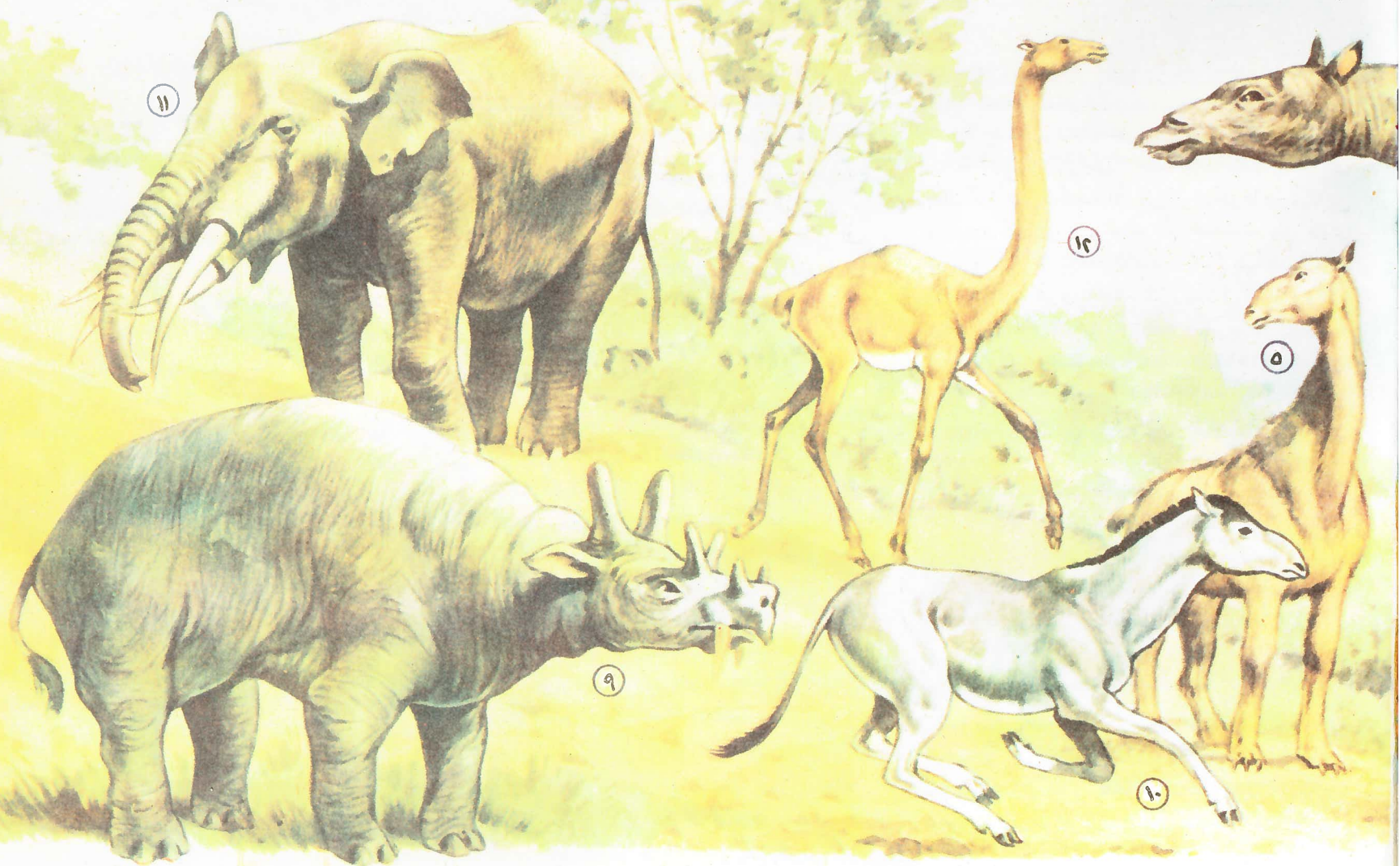


وبدأت البقايا المنحجرة للثدييات في الشروع بين طبقات العصر الأيوسيني لفترة العصر الحديث . وفيما يلي بعض الثدييات البدائية من العصر الميوسيني . (١) پروديا كودون Prodiacodon : وهو من الثدييات الآكلة للحشرات ، ويمت بالقهر في القنفذ . (٢) باليوركتس Palaeoryctes : وهو مخلوق صغير يشبه الزباب .



(٣) لوكسولوفس Loxolophus : وكان يشبه الغرغور ، وهو من أوائل آكلات اللحوم Carnivora .

(٤) فيناكودس Phenacodus : وكان من الثدييات البدائية الحافرية .



(١٢) أما ألتيكاميلس *Alticamelus* ، فيمكن تسميته « الجمل ذو الحنق الزراني » . ومما هو جدير بالذكر ، أن الموطن الأصلي للجمل كان أمريكا الشمالية ، ومنها هاجر إلى آسيا (حيث يوجد منها حتى الآن نوعان) ، وأمريكا الجنوبية (وتمثل هناك باللاما) . وقد انقرضت الجمال تماما في موطنها الأصلي .

الأرقام ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٢ تعود إلى العصر الميوسيني ، وقد تضمنت صورة المقدمة ثلاثة منها .

(١٠) كان الهيراكودون *Hyracodon* شبيها بالحصان ، إلا أنه في الحقيقة من الأسلاف الأولى للخريت . وهناك علاقة قربي واضحة بين كل من الخريت والحصان الحديثين ، وهو يذكرنا بهذه العلاقة .

(١١) كان تريوفودون *Trilophodon* واحدا من أنواع مختلفة من الفيلة المنقرضة . وهو ينتمي لمجموعة الفيلة المعروفة باسم ماستودون *Mastodons* ، وكان له نابان على كل من الفك العلوي والسفلي .

المحتمل أنه كان يستخدم مخالبه في حفر واقتلاع الجذور . ولا يوجد حاليا ما يشبه هذا الكائن من قريب أو بعيد .

(٦) دينوهيس *Dinohys* : كان نوعا ضخما من الخنازير . وحتى تكون لديك فكرة عن هيئته ، لك أن تتصور خنزيرا برياً ، يرتفع مترين عند كتفيه . ولا بد أنه كان كائنا مهيبا ، كما أنه من المحتمل أن يشبه في تغذيته الخنزير المعروف حاليا .

(٧) من هذا الخنزير الذي يبلغ في حجمه حجم الخريت ، نأتى إلى خريت لا يزيد في حجمه على خنزير حديث . وكما يدل اسمه ديسراثريم *Diceratherium* ، كان له قرنان على جانبي أنفه . ولو لم يتقرض هذا الكائن ، لكان من العسير التفرقة بين الخريت والخنزير .

(٨) وهنا نصل إلى حالة قصوى . ويعتبر البلكثيريم *Baluchitherium* ، أكبر الثدييات البرية التي عرفت حتى الآن ، فقد بلغ ارتفاعه عند الكتفين أزيد من خمسة أمتار (كان أكثر ضخامة من الفيل الأفريقي ، الذي يبلغ ارتفاعه أكثر من ٤ أمتار) . لقد كان هذا الكائن حقيقة طرازا ضخما من الخريت دون أية قرون ، وعثر على عظامه بين طبقات العصر الميوسيني بلبلوستان ومنغوليا .

(٩) كان اليونتاثريم *Uintatherium* مخلوقا غريب الشكل ، يماثل الخريت في حجمه . له ستة قرون ، وزوج من الأنياب . وهو من الثدييات القليلة الضخمة ، المميزة للعصر الأيوسيني .

فترات العصر الحديث
كانت المقسيم القديم
يقسم لعصر الحديث
إلى الحقب الثلاثة
" من الأيوسيني إلى
الليوسيني "
والحقب الرابع
" الليوسيني "
والخاضر " .

العصر الحديث

الفترة الحاضر أو الحديث	بسيطة الإنسان
الليوسيني ١٥ مليون سنة مضت	عصر الجليد ظهور الإنسان
الليوسيني ١٥ مليون سنة مضت	ابتداء زوال الثدييات
الليوسيني ٣٥ مليون سنة مضت أوليوسيني ٤٥ مليون سنة مضت	فترة الثدييات الضخمة
الليوسيني ٧٠ مليون سنة مضت	بسيطة الثدييات
حقيقة الميزوسيني	زمن الزراعة

ماري تيودور

قليلون من الناس من كانت حياتهم باللغة التعاسية مثل حياة ماري تيودور Mary Tudor ، فقد أقصيت أمها بقسوة من جانب أبيها هنري الثامن Henry VIII ، الذي أعلن أنها ابنة غير شرعية ، لكي يفسح طريق وراثة العرش لطفله الذي أنجبه من زيجة ثانية . والمذهب الكاثوليكي الذي كانت متعلقة به ، قد استغنى عنه على يد هنري إلى حد ما ، وعلى يد إدوارد السادس Edward VI كليا . ثم أن الأمة التي تنتمي إليها أمها ، وهي أسبانيا ، أصبحت عدوة لدودة لانجلترا البروتستانتية . ولولا الإصرار العنيد من جانبها ، لما استطاعت أن تحول دون قيام أقربائها الحاكين ، بجرمانها من ممارسة القداس Mass إلخا لخاص الأثير عندها ، ولما تهيأ لها قط أن تبرأ من الخوف الذي كان يقض مضجعها ، من احتمال تنحيها وإزاحتها من الطريق ، لكونها بؤرة محتملة لقيام ثورة كاثوليكية ضد الحكومة . ولقد كان حكمها ذاته يكاد يكون مطبوعا بطابع الكتابة التي لا ملطف لها . كانت تحب زوجها إلى حد العبادة ، ولكنه وهو الذي لم يكن يحفل بها ، لم يلبث أن هجرها في الواقع ، إن لم يكن بالاسم . وتبدلو رسائلها إليه محزنة مؤثرة ، مثل رسائل أيسة



أمرأة منبوذة مزدراة في قصة روائية . ثم إن الطفل الذي كانت تصبو إليه لم يأت أبدا ، وإن كانت قد أخطأت تقدير أعراض مرض ألم بها ، وعزتها إلى أعراض أهومة وشيكة . ومع ذلك ، فبرغم ما منيت به من ظلم في حياتها ، فإنها استهدفت للظلم أشد في مماتها . فإن الكثيرين من المؤرخين يعدونها أقسى الملوك والملكات ، الذين أتيح لهم أن يتربعوا على العرش الإنجليزي ، وأشداهم تعظشا للدماء ، وولو غا في القتل . وبسبب هؤلاء المؤرخين أصبحت معروفة ، وستظل دائما معروفة ، بوصف (ماري المخضبة بالدماء) .

الزواج الأسباني

فشل دوق نورثمبرلاند Duke of Northumberland في محاولته المستميتة ، لكي يجلس على العرش زوجة ابنه اللبدي جين جراي Lady Jane Grey ، وقصد انخازت الأمة إلى جانب ماري ، ابنة هنري الثامن البالغة من العمر ٣٧ عاما . ولقد أعدم دوق نورثمبرلاند ، ولكن لم يلق حتفه معه سوى اثنين فقط من شركائه . وأما إعدام اللبدي جين ، فقد ظل مرجأ ، إلى أن اضطرت ماري ، بعد أن بدت لها طوالع نجاح الحركة الثورية التي قادها توماس ويات Thomas Wyatt ، إلى اتخاذ تلك الخطوة ، على كره منها ، ومن أجل سلامتها هي ذاتها .

كانت المشكلة الأولى التي واجهت ماري ، هي مشكلة زواجها . وربما لكونها أسبانية المنبت ، فقد كانت مصممة تصميميا جازما ، على أن يكون زوجها أسبانيا . ولما رأى شارل الخامس أن الفرصة أمامه سانحة لضم إنجلترا إلى نطاق الدائرة القوية التي شكلها لمناوثة فرنسا في ممتلكاتها ، عرض عليها ابنه ووريثه فيليب أرشيدوق برجانديا Philip Archduke of Burgandy ، وهو عرض قبل بالابتهاج . ولكن كثيرين في إنجلترا عارضوا هذا الارتباط الأسباني لأسباب سياسية ووطنية قومية . وقد شملت هذه المعارضة الأسقف جاردنر ، الذي أطلق سراحه من سجن البرج the Tower ، لكي يصبح قاضي القضاة Lord Chancellor . كما أن برلمانها الأول في أكتوبر عام ١٥٥٣ ، أوصى بعدم الموافقة على هذا الزواج .

لكن ماري لم تعبأ بشئ من هذا ، وفي نفس الشهر عقد زواجها بالتوكيل لغياب العريس . وقد ترتب على هذا نشوب عدة حركات عدائية ومناهضة ، ولكن الحركة الوحيدة ذات الخطورة ، كانت حركة التمرد التي قام بها توماس ويات ، من يناير إلى فبراير عام ١٥٥٤ .

إن هذه الثورة التي بدأت في مقاطعة كنت Kent ، وامتد تغلغلها إلى شارع فليت ستريت Fleet Street بلندن ، كانت في إحدى مراحلها خطرا عظيما على الحكومة ، لأن الثوار نجحوا في دخول العاصمة ذاتها . ومع ذلك فقد أخمدت الثورة ، وقامت ماري على غير رغبة منها ، ولكن امتثالا لرغبة شارل الخامس ، بعملية انتقام مروعة . فإن ويات لم يشق وحده ، بل شق أيضا كثيرون من العامة ، ممن تفاوتت براءتهم أو إدانتهم ، وكذلك زج في سجن البرج بالأميرة إليزابيث ، التي نسب إلى ويات أنه قام بالثورة باسمها .

وفي يوليو عام ١٥٥٤ ، وصل فيليب إلى إنجلترا ، ولعله

جلب معه إلى زوجته الجديدة ، شهور السعادة الوحيدة التي أتيح لها قط أن تعرفها .

ولم يلبث برلمان ماري الأول ، أن وجه إليها صفقة أخرى على وجهها ، عندما أبلغها أنه لا يمكنها بأى حال أن ترد إلى الكنيسة الأرض التي صادرها هنري الثامن وإدوارد السادس . والواقع أن العلاقات بين ماري وبرلماناتها كانت معارك متصلة . ولم يتبها لها ، إلا بعد مضاعب كبرى ، إقناع البرلمان في النهاية ، وذلك في نوفمبر عام ١٥٥٤ ، بإلغاء التشريعات المناوئة للبابوية ، التي كانت سارية منذ عام ١٥٢٩ . وبدا كأن حركة الإصلاح الديني the Reformation لم تعد ذات جدوى . ومع ذلك ، فإن الكراهية الواضحة من جانب رعاياها لإعادة الارتباط بروما ، قد انخازت بها إلى العنف والصرامة المتزايدتين في سياستها الدينية . فقد عمدت إلى طرد بضعة آلاف من القساوسة المتزوجين ، وحرمانهم من مصادر رزقهم ، وكان وصول ريجنالد پول Reginald Pole في شهر نوفمبر ، لكي يخلف كراغر Cranmer كرئيس لأساقفة كنتربري ، مؤيدا إلى أن يتصدر مسرح السياسة الإنجليزية ، رجل كرس نفسه لاستئصال الهرطقة Heresy بالنار والمحارق .

وفي يناير عام ١٥٥٥ ، بدأت محاكمة الهرطقة بموافقة من ماري وبول ، وتأييد من جاردنر ، وممارسة من جانب الأسقف بونر Bonner أسقف لندن ، وقبل أن ينتهي حكم ماري ، هلك أكثر من ٣٠٠ في المحارق ، وكان في عدادهم ريدلي Ridley ، ولاتيمر Latimer ، وكراغر .

نهاية محزنة

لم يلبث فيليب أن ارتحل إلى القارة الأوروبية في سبتمبر عام ١٥٥٥ ، ومنذ تلك اللحظة ، بدأت الأمور تسير إلى أسوأ بالنسبة لماري . ففي أكتوبر أثبت البرلمان أنه أعصى مقادا أو يكاد ، وفي نوفمبر أدت وفاة جاردنر إلى إزاحة يد قوية راسخة ، كان يمكن أن تنقذها من مزيد من نتائج سياساتها المؤسسية والجالبية للكوارث . وكان الأسوأ من هذا بعد ، هو خصام فيليب مع البابا عام ١٥٥٦ ، مما أدى إلى صدور الحرمان الكنسي ضده Excommunicated ، وكانت هذه ضربة مريرة للملكة . وفي العام التالي ، نشبت الحرب بين فرنسا وأسبانيا . فقام فيليب بزيارة سريعة إلى إنجلترا التماسا للمساعدة . وفي يونيو ١٥٥٧ ، أعلنت إنجلترا الحرب على فرنسا ، وكانت حربا لا يؤيدها الشعب ، وقد أعد لها إعدادا سيئا ، وأديرته دفتها بقصور . وأخذت تزايد في البلاد أعمال التهيج ضد ماري ، التي زاد ارتباطها بالأسبان . وفي يناير عام ١٥٥٨ ، سقط آخر موطن قدم لانجلترا في القارة ، وهو ميناء كاليه Calais .

غدت ماري الآن وهي مريضة مرضا موثسا ، وعلى شفا الموت بصورة واضحة . وأنداك كانت أنظار الأمة قد تحولت عن نجمها الآفل ، لكي ترنو إلى نجم بازغ هو الأميرة إليزابيث . ولم يكن لماري وريث . وكان مقدرا بموتها ، أن يبطل اعتبار فيليب ملكا لانجلترا ، وهكذا كانت وفاة ماري بين أنقاض سياساتها المتداعية ، وأصبح المستقبل ملكا للمناوئين ، لكل ما كانت تناضل من أجله - مذهبا الكاثوليكي ، وصداقتها الأسبانيا ، وذكرى أمها .

كيف تحصل على نسختك

- اطلب نسختك من باعة الصحف والأكشاك والمكتبات في كل مدن الدول العربية
- إذا لم تتمكن من الحصول على عدد من الأعداد اتصل بـ :
- في ج.م.ع : الاشتراكات - إدارة التوزيع - مبنى مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
- في البلاد العربية : الشركة الشرقية للنشر والتوزيع - بيروت - ص.ب ١٩٨٩

مطبع الأهرام القاهرة

سعر النسخة

ج.م.ع. --- ١٠٠	ليبيا --- ١٢٥	سوريا --- ١٥٠	الأردن --- ١٥٠	العراق --- ١٥٠	الكويت --- ٢٠٠	البحرين --- ٢٥٠	قطر --- ٢٥٠	دب --- ٢٥٠
ليبيا --- ١٠٠	ق.ن. --- ١٢٥	ق.س. --- ١٥٠	فلسا --- ١٥٠	فلسا --- ١٥٠	فلسا --- ٢٠٠	فلسا --- ٢٥٠	فلسا --- ٢٥٠	فلسا --- ٢٥٠
أبوظبي --- ٢٥٠	السعودية --- ٢٥٠	عبدن --- ٥	السودان --- ١٥٠	ليبيا --- ٢٠	تونس --- ٢٥	الجزائر --- ٢	المغرب --- ٢	
فلسا --- ٢٥٠	ريال --- ٢٥٠	شلتان --- ٥	ليبيا --- ١٥٠	فلسا --- ٢٥	فلسا --- ٢٥	فلسا --- ٢٥	فلسا --- ٢٥	

قناع

- (١) قناع من نيجيريا (لاحظ الخياطة المستعرضة).
- (٢) قناع من الألياف النباتية ، يستخدمه سكان الكاميرون (أفريقيا).
- (٣) قناع من الكونغو مصنوع من الخشب.
- (٤) مجموعة من السكان الأصليين لأمريكا الشمالية (كولومبيا البريطانية) يضعون أقنعة مفصلة : الفك الأسفل متحرك.
- (٥) قناع من غانا الجديدة (ميلانيزيا).
- (٦) قناع من سيلان يمثل رأس نمر.



الأقنعة المسرحية

الشخصيات النسائية ، وهي عنصر هام ، إذ لم يكن يسمح للنساء بالظهور على المسرح . ومن جهة أخرى ، كانت الأقنعة تساعد على تضخيم أصوات الممثلين وإكسابها رنيناً ، مما كان يساعد على إيصال أصواتهم إلى النظارة البعيدين عن ساحة العرض .

وكان رأس القناع أكبر حجماً بدرجة كبيرة من الحجم الطبيعي ، وملاحظه أكثر وضوحاً وتميزاً ، وكان يصمم ليناسب تعبيرات الشخصية التي ستقدم على المسرح : فالمرابي مثلاً كانت أنفه وأذناه مشوهة ، والشخص الكسول كان وجهه مسطحاً ، والمتكبر ذا أنف معقوف . أما العبيد ، فكانت رؤوسهم تعلوها شعور مستعارة حمراء اللون ، في حين كان رأس الطاهي أصلع . كانت هذه التعبيرات تساعد النظارة على التمييز بين مختلف الشخصيات ، وعلى حسن تفهم الحبكة المسرحية (انظر الرسوم في الصفحة التالية) .

الأقنعة اليونانية : كانت عادة ارتداء القناع أثناء الاحتفالات الدينية ، موجودة منذ زمن بعيد ، لدى سكان شبه الجزيرة الهيلينية . وهناك نشأ فن جديد ، هو فن المسرح ، وأخذ يتطور تحت تأثير بعض كبار الكتاب ، وذلك قبل الميلاد ببضع مئات من السنين . ويبدو أن أقدم المسارح كانت تقام بالقرب من أماكن العبادة ، حيث كانت تعرض فيها بعض المسرحيات الدينية . ومن الشعائر الدينية جاء اقتباس المسرح لفكرة استخدام الأقنعة . والواقع أن الأقنعة كانت تهىء للممثلين فوائد عديدة ، فكانت تمكنهم من تأدية أدوار مختلفة بتغيير مظهرهم . فكان في استطاعة الرجال أن تتقمص

- قصة جنوب إفريقيا.
- أوروبا في القرن الخامس عشر.
- الأراضي المحتلة.
- تركيا.
- التماسيح.
- تاريخ مصر الحديثة " الجزء الثاني ".
- التاريخ.
- الشخصيات القديمة.
- ماري تيدور.

- إشيوبيا.
- الضحية والسيد المالك.
- مدن هولند.
- مدن تركيا.
- السحابة.
- تاريخ ليبيا.
- الخصروان.
- تصريف الشدائد.
- فيكتور عمانوئيل الثالث.

" CONOSCERE "

1958 Pour tout le monde Fabbri, Milan
1971 TRADEXIM SA - Genève
autorisation pour l'édition arabe

الناشر: شركة تراكسيم شركة مساهمة سويسرية "جنيف"

قناع

الأقنعة اللاتينية : من المعتقد أن اللاتينيين عرفوا القناع عن طريق مستعمرات اليونان الكبرى .

وفي حوالي القرن الثاني ق.م. ، أخذت بعض الفرق المسرحية المتقلة تتحول من مدينة إلى أخرى في جنوب إيطاليا ، وكانوا يأتون في الغالب من مدينة أتيليا Atella في كامبانيا ، ولذا فقد أطلق عليهم اسم الأتيليين ، وصارت الكلمة تدل على التمثيل الفكاهي .

كان الممثلون هم الآخرون يستخدمون الأقنعة ، ويؤدون أدواراً هزلية بسيطة ، تزخر بالمداعبات السهلة ، والتلميحات التي تنسم بشئ من السوقية . أما الشخصيات الهزلية فكانت لا تتغير . وقد أدى استمرارهم على تقديم نفس الشخصية ، ونفس الملابس ، ونفس القناع لشخص معين ، إلى خلق شخصية مميزة ، كان النظارة يتعرفون عليها بمجرد دخولهم ساحة العرض . وبعبارة أخرى ، أصبحت تلك الشخصية نوعاً من « القناع » ، بالمعنى الذي نعرفه اليوم (شخصيات مقنعة) ، غير أنه لا يوجد ما يثبت أن الأقنعة الحديثة قد اشتقت منه .

وهكذا كانت لدى الأتيليين شخصيات شهيرة ، مثل بيكو Becco الأبله ذي الوجه الأحمر ، الذي كان دائماً ينفخ في البوق ، ولا يبارح المسرح إلا بعد أن يتلقى عدداً من الضربات بالعصا . ومثل بايوس Pappus ، رب الأسرة البخيل الشرس ، الذي كان يرغب في الظهور بمظهر الشاب ، ويدأب على الشكوى من علله ، فكان موضع السخرية من زوجته ، ويتلقى الضرب أثناء الانتخابات (وهو السلف الحقيقي لشخصية پنطلون Pantalon في بعض النواحي) . ومثل ماخوس



أقنعة شهيرة كانت تستخدم في المسرح الهزلي القديم

Macchus الوحش الدائب على العراك ، والذي يذكرنا بشخصية پولشينيلى Polichinelle . وهناك أيضاً شخصية دوسينو Dosseno ، الذي كان يلقي بالحكم بين كل عبارة وأخرى ، وهو في ذلك يشبه عضو الكوميدي الإيطالية البولوني الأصل الدكتور بالدانزون Baldanzone .

ثم جاء الممثل الهزلي اللاتيني الكبير بلوتوس Titus Maccius Plautus في حوالي ٢٥٤ - ١٨٤ ق.م . وابتدع شخصية بارزة ، هي شخصية الجندي المتشدد (Miles gloriosus) . ويعتبر بلوتوس المنبع الذي انحدرت منه كل الشخصيات المتشددة (الفشار) التي يزخر بها عالم الأقنعة الحديثة ، مثل الكايتن فراكاس Fracasse ، وسكاراموش Scaramouche ، وترانشمونتاني Tranchemontagne .

القناع الصيني : ابتدع المسرح الصيني أقنعة تتميز بشخصياته . كانت الأقنعة عادة تنحصر في طلاء وجه الممثل بالألوان الزاهية ، وكان ذلك يتطلب قدرأ كبيراً من الجهد والصبر .



أقنعة المسرح الصيني ، وكانت ملاحظتها ترسم على وجه الممثل مباشرة

الأقنعة في العصور الوسطى

لم نعد نرى أثراً للأقنعة على المسرح في العصور الوسطى . غير أن العادة جرت في كافة بلدان أوروبا على إقامة مواكب عظيمة ، تشترك فيها شخصيات مبتكرة ، وكانت تلك المواكب تخرق شوارع المدن في بعض المناسبات . وكثيراً ما كانت مثل تلك الاحتفالات تنتهي بشئ من الإفراط ، مما دعا السلطات المدنية والدينية للتدخل . وفي فرنسا كانوا يحتفلون « بعيد المجانين » في فترة أعياد الميلاد . وفي تلك المناسبة ، كان كل شئ تقريباً يباح تحت ستار الأقنعة ، وكان « عيد المجانين » جديراً فعلاً بهذه التسمية . وفي إنجلترا كانت تستخدم أقنعة مماثلة .

وفيما بعد ، خلال عصر النهضة ، اتخذت تلك الاحتفالات مظهراً أكثر فخامة واتزاناً . وفي إيطاليا كانت تبرز غيرها في فخامتها ، ففي فلورنسا قام لورنزو الألفم بتنظيم بعض من هذه الاحتفالات ظلت محتفظة بشهرتها ، وكان أحدها يمثل انتصار أحد القناصل ، فكان جميع أهل فلورنسا يرتدون الملابس الرومانية . أما التكرات الأكثر شيوعاً ، فكانت مقتبسة من التاريخ القديم ، ومن الأساطير ، وإن كانت تشمل أيضاً بعض صور الحيوانات ، بل وبعض الهياكل العظمية .

وكان بعض كبار الفنانين يسمون أحياناً في إقامة مثل تلك الاحتفالات ، ومن ذلك أن ليوناردو دالفينشي وضع مواهبه تحت تصرف بلاط ميلانو ، لمناسبة زواج جان جالياهو سفورزا . كانت العربات تمثل الكواكب ، وتهبط منها شخصيات ترتدى أزياء مختلف الشعوب . وفي نفس الوقت أصبحت مدينة البندقية هي الموطن الفعلي للمواكب والحفلات التنكرية ، وظلت محتفظة بشهرتها تلك . كان الأهالي يتنكرون لأنفقه المناسبات ، كانتخابات الدوج ، أو قدوم أحد السفراء ، أو للاحتفال بأحد الانتصارات (كانتصار ليبانت Lepante) . وقد أصبح القناع الذي يضعونه يشكل جزءاً من ملابسهم اليومية . كانوا يصنعون الأقنعة من الشمع ، ومن الورق المقوى الملون ، ومن الكتان . وبمضي الوقت ، أخذ حجم الأقنعة يقل ، وغدت تصنع من الحرير ، أو من القطيفة السوداء . ومن إيطاليا انتقلت هذه العادات إلى البلاد الأخرى ، وبصفة خاصة إنجلترا وفرنسا ، حيث كان رجال البلاط في أسرة فالوا ، هم فقط الذين يستخدمون مثل هذه الأقنعة .